مجلة الجامعة الإسلاميَّة
للغة العربيَّة وآدابها

مجلة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكمة

العدد : 17
يوليو - سبتمبر 2025م
الجزء 2

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة – مصر

أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض – المغرب

د. الزبير آل الشيخ مبارك
(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد ـ تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم

د. سليمان بن محمد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	التِّبْر المسبوك في بيان تعريف المصدر المسبوك للعلامة شهاب الدين أحمد الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ) دراسة وتحقيق **د. موتمباي رجب إهونغومو**	٩
٢)	إصلاحات اللُّورَقِيّ (ت٦٦١هـ) لعبارة الجزولي النحوية في المقدمة الجزولية دراسة تحليلية **د. عبد العزيز سليمان الملحم**	٦٥
٣)	صيغة (فِعِّيل) بين المتقدمين والمتأخرين واستعمالاتها في العربية دراسة صرفية دلالية **د. حمد بن عبيد ربدان الرشيدي**	١٣١
٤)	تَشكُلات الميتاشعرية وعلاقة الشعر بالذات والعالم في ديوان الليالي الأربع لأحمد بخيت **د. وفاء أحمد جابر أحمد**	١٩٣

م	البحث	الصفحة
٥)	تقنيات الزمن الروائي في رواية عمّة آل مشرق لأميمة الخميس **د. غانم بن سليمان بن علي الغانم**	٢٦١
٦)	العربية التفاعلية لغير الناطقين بها على الإنترنت في ضوء معايير التعليم الإلكتروني دراسة وصفية تحليلية **د. بدرية براك بنيه العنزي**	٣٠٥
٧)	ألفاظ تقدم العمر في القرآن الكريم (الشيب والشيخ والكِبَر) دراسة بلاغية تحليلية **عابد بن سلامة سليم الجهني**	٣٦٣
٨)	ذِكْرُ مِنْ وَحَذْفُهَا فِي آيَاتِ الْوَعْدِ بِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَغُفْرَانِ الذُّنُوب دِرَاسَة بلَاغِيَّة **د. سوادغو سليمان**	٤٢١

ألفاظ تقدم العمر في القرآن الكريم
(الشيب والشيخ والكِبَر) دراسة بلاغية تحليلية

The Words of Aging in the Noble Quran (elderliness, old man, and old age) An Analytical Rhetorical Study

عابد بن سلامة سليم الجهني

باحث دكتوراه بقسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: bbd-6@hotmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
18/11/2024		29/12/2024
نشر البحث A Research Publication		
ربيع الأول ١٤٤٧هـ = September 2025		
DOI:10.36046/2356-000-017-015		

الملخص

تناول البحث ألفاظ تقدم العمر في القرآن الكريم، وهي:" الشيب، الشيخ، الكِبَر" دراسة بلاغية تحليلية.

أهداف البحث: يهدف إلى محاولة تقديم صورة وافية للأسباب والأسرار البلاغية لاستعمال ألفاظ "الشيب، الشيخ، الكِبَر" في الدلالة على تقدم العمر لدى الإنسان، وقد وقف الباحث على جملة من الدقائق الكامنة لأسرار التعبير القرآني من خلال ألفاظ تقدم العمر، ودرس تنوع الأسرار والمقاصد العلية في الآيات محل الدراسة.

كما تكمن أهمية البحث في محاولة تلمس الأسرار البلاغية التي جعل القرآن الكريم يؤثر استعمال ألفاظ: "الشيب، الشيخ، الكِبَر" في مواضعها في الذكر الحكيم، إذ إن التعبير القرآني تعبير دقيق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكل لفظة، بل كل حرف فيه وُضع موضعه الأليق به، ولم تُراع فيه الآية وحدها، ولا السورة وحدها، بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كاملاً.

وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي.

وقد خلص البحث إلى نتائج منها: تنوع الألفاظ الدالة على تقدم العمر في القرآن بين لفظة "الشيب" التي وردت ثلاث مرات، ولفظة "شيخ" التي وردت في القرآن الكريم أربع مرات، ثلاثة منها جاءت بصيغة الإفراد، وواحدة بصيغة الجمع، ولفظة "الكِبَر" التي وردت ست مرات، وأن القرآن استعان بالأسلوب المجازي لبيان ذلك الأثر النفسي في إحداث إشابة الولدان، أن لفظتي الشيخ والكبر كنى بهم القرآن عن حالتي الضعف والوهن، وعدم المقدرة على تحصيل الولد.

الكلمات المفتاحية: ألفاظ، تقدم العمر، القرآن الكريم، دراسة بلاغية تحليلية.

Abstract

The study addresses the words referring to aging in the Noble Quran, namely: al-shaib" (elderliness), "al-shaykh" (old man), and "al-kibar" (old age) through a rhetorical and analytical study.

Research Objectives: The study aims to provide a comprehensive vision of the rhetorical reasons and subtle concepts behind the use of the words "elderliness, old man, and old age" to signify aging in humans. The research delves into the latent secret of Quranic expression through these words and examines the variety of rhetorical secrets and noble purposes in the verses under study.

Research Importance: The importance of this research lies in highlighting the rhetorical secrets that led the Quran to prefer using the words "elderliness, old man, and old age" in their specific contexts in the Noble Quran. The Quranic expression is a deliberate artistic one, where every word, and even every letter, is artistically placed with intention. The positioning of these words is not only in relation to the verse or the chapter but also within the entire Quranic expression.

The research adopted a descriptive and analytical approach.

The study concluded several findings, including the diversity of words used to denote aging in the Quran. The word "elderliness" appeared three times, while the word "old man" appeared four times in the Quran, three of which were in the singular form, and one in the plural form. The word "old age" appeared six times. The Quran used metaphorical style to express the psychological impact of aging that turns young boys gray. The words "old age" and "senescence" in the Quran symbolize states of weakness, frailty, and the inability to engage in sexual relations or have offspring.

Keywords: words, aging, the Noble Quran, rhetorical and analytical study.

المقُدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وبعد؛ فقد عالج القرآن الكريم أحوال الإنسان، وأطوار خلقه، ومراحل عمره، وقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ متنوعة تدل على التقدم في العمر، ومنها: الشيب، والشيخ، والكِبَر، وقد أتت كل لفظة منها في موضعها اللائق بها، إذ إن التعبير القرآني تعبير دقيق، فكل لفظة، بل كل حرف فيه وُضع موضعه الأليق به، ويحاول البحث أن يستظهر الأسرار البلاغية للتعبير عن الألفاظ التي تدل على تقدم العمر في القرآن الكريم، فجاء عنوان البحث: (ألفاظ تقدم العمر في القرآن الكريم –الشيب، والشيخ، والكِبَر – دراسة بلاغية تحليلية).

إشكالية البحث:

أما عن مشكلة البحث فتتمثل في عدة أسئلة تحاول الدراسة الإجابة عليها، ومنها:

١. ما الألفاظ التي استعملها القرآن في الدلالة على تقدم العمر؟
٢. ما الأسرار البلاغية للتعبير بألفاظ الشيب، الشيخ، الكِبَر في القرآن الكريم؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه متعلق بكتاب الله عز وجل وبيان الأسرار البلاغية التي جعل القرآن الكريم يؤثر استعمال ألفاظ:" الشيب، الشيخ، الكِبَر" في مواضعها في الذكر الحكيم.

أسباب اختيار الموضوع:

يعود اختيار الموضوع إلى جملة من الأسباب، منها:

١- رغبتي الذاتية في دراسة موضوع يتعلق بطرائق القرآن الكريم تجاه أحد الموضوعات التي تتعلق بالألفاظ الدالة على تقدم العمر.

٢- محاولة الوقوف على الدقائق الكامنة لأسرار التعبير القرآني من خلال ألفاظ تقدم العمر.

٣- وفرة الأسرار والمقاصد العلية في الآيات محل الدراسة.

أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى محاولة تقديم صورة وافية عن الأسباب والأسرار البلاغية لاستعمال ألفاظ: "الشيب، الشيخ، الكِبَر" في الدلالة على تقدم العمر في الذكر الحكيم.

الدراسات السابقة:

لم يقم أحد- فيما أعلم- بدراسة جميع ألفاظ تقدم العمر في القرآن دراسة بلاغية، إلا أن هناك دراسات تناولتها مفردة، كأن تجد دراسة تناولت لفظة الشيب فقط، أو لفظ الكِبَر، مثل:

١- التناسق الهرموني في أوائل سورة مريم، للطبيب زهير رابح قرامي، مقال منشور بمجلة الإعجاز العلمي، العدد الثالث، ١٩٩٧م، ويقع هذا المقال في ثمان صفحات، تحدث فيه صاحبه عن الشيب والكبر، ولكن من الناحية الطبية، وقام بوصف ما يحدث للجسم فسيولوجيًا في حالة الكبر والشيب، والعلاقة الفسيولوجية بين الشيب والخوف، ولاختلاف مجال الدراسة وأهدافها عن دراستي فقد تباينت عنها في التحليل والتناول، وهذا لا يعني عدم الإفادة منها، فقد فتحت لي بابًا لأسرار التعبير من الناحية الطبية.

٢- لفظ الكبر في القرآن الكريم، دراسة سياقية، للباحث حسين أرشيد الأسود العظامات، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية الأردني، المجلد الرابع والأربعون، العدد الثالث بعد المائة، ٢٠٢٠م، وقد تحدث صاحبه عن لفظة الكبر في القرآن الكريم من ناحية البنية التركيبية، والتعريج على الناحية الدلالية، وبهذا فهي تشترك مع جزء من رسالتي، وهو لفظة الكبر، وناحيته الدلالية، وتختلف دراستي عنها كمًا وكيفًا، ففي الكيف لم تقف دراستي عند الناحية الدلالية، بل بينت السر لاستعمال اللفظة دون غيرها، ومدي مناسبتها للمعنى الكلي للآية، وقامت بتحليلها بلاغيًّا، ومن ناحية الكم أضافت دراستي ألفاظًا أخرى: الشيب والشيخ.

٣- الأعمار المتفاوتة في القرآن الكريم، للباحث أحمد غازي العبيدي، مجلة الدراسات المستدامة ، الجمعية العمومية للدراسات التربوية المستدامة، العراق، المجلد الرابع، ٢٠٢٢م، وتحدث هذا البحث عن العمر من الناحية التربوية فقط، وعندما تعرض لمرحلة الشيب لم يزد عن الاستشهاد بآية الشيب في سورة مريم، فحديثه عن الشيب كان توصيفًا لحالة الضعف التي تعتري الإنسان فقط، دون أية إشارة إلى تحليل لغوي، ولا سيما البلاغي، ونظرًا لاختلاف الهدف من الدراسة عن دراستي؛ فقد اختلف التناول والعرض والتحليل؛ لأن دراستي دراسة بلاغية في أسرار التعبير، وهذه الدراسة تربوية.

فهذه الدراسات وإن اشتركت مع دراستي في جزء من مادتها العلمية (ألفاظ تقدم العمر) إلا أنها لم تقم بالتحليل البلاغي لهذه الألفاظ في سياقاتها، ولم تبين أسرار التعبير بها.

منهج البحث:

منهج البحث هو المنهج الوصفي التحليلي القائم على وصف وتحليل الظاهرة محل الدراسة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة وفهرس المصادر والموضوعات، وهي على النحو التالي:

المقدمة: وقد تحدثت فيها عن أهمية البحث وإشكاليته، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث.

التمهيد: وقد تحدث فيه عن مفهوم العمر، والألفاظ التي دلت على تقدم العمر في القرآن الكريم

المطلب الأول: الأسرار البلاغية للتعبير بلفظ (الشيب) في القران الكريم

المطلب الثاني: الأسرار البلاغية للتعبير بلفظ (الشيخ) في القران الكريم

المطلب الثالث: الأسرار البلاغية للتعبير بلفظ (الكبر) في القران الكريم

الخاتمة، وفيها: وفيها جملة من نتائج البحث وتوصيات الدراسة.

فهرس: المصادر والمراجع.

التمهيد

القران الكريم النموذج الأعلى في البلاغة والسفر الأفصح، والسبب في ذلك يرجع إلى إحكام بناء آياته، وتنسيق لبناته، ودقة اختيار كلماته، فلا تجد كلمة تنبو عن مكانها أو تضيق بموضعها، بل ترى التصاقًا وائتلافًا، ولو حاولت انتزاع كلمة من مكانها أو استبدل غيرها بها؛ ما ائتلف السياق، ولا انتظم التعبير ولا انسجم الأسلوب(١)، يقول الله في كتابه العزيز: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (٢)، وقد تحدث القرآن الكريم عن العمر وأطواره بدءًا من خلق الإنسان من تراب قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴾ (٣)، ومروراً بمراحل الطفولة والشباب وانتهاءً بالشيب والشيخوخة.

ولما كانت مرحلة الشيخوخة والكِبَر من المراحل المهمة في حياة الإنسان، فهي آخر مراحل العمر، وتمثل فترة التراجع في أغلب وظائف الجسم، فهي مرحلة التنكيس للجسم والعمر يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۖ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ (٤)، ولقد استخدم الذكر الحكيم ألفاظًا للدلالة على تقدم العمر وبيان ما فيها من رجوع وتنكيس.

أولًا: مفهوم العمر في اللغة والاصطلاح:

العمر لغة: الحياة يقول ابن فارس: "الْعَيْنُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى بَقَاءٍ وَامْتِدَادِ زَمَانٍ ...، فَالْأَوَّلُ الْعُمْرُ وَهُوَ الْحَيَاةُ، وَهُوَ الْعَمْرُ أَيْضًا،

(١) ينظر: عبد الفتاح لاشين، "من أسرار التعبير في القرآن الكريم بناء التراكيب". (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م)، ص٤.

(٢) هود: الآية ١.

(٣) الروم آية٢٠.

(٤) يس الآية ٦٨.

وَقَوْلُ الْعَرَبِ: لَعَمْرُكَ، يَحْلِفُ بِعَمْرِهِ أَيْ حَيَاتِهِ"[١]، قال الراغب الأصفهاني: "الْعَمْرُ والْعُمُرُ: اسم لمدّة عمارة البدن بالحياة، فهو دون البقاء"[٢].

العمر اصطلاحًا: هو الزمن الذي مضى على الإنسان منذ ولادته، وهو يمر بوتيرة أبطأ بكثير من مرحلة البلوغ، ويشكل عمر السابعة عشر منتصف حياة بشريّة تمتدّ إلى الخامسة والسبعين"[٣].

ثانيًا: مواضع الألفاظ التي دلت على تقدم العمر في القرآن الكريم

استعمل القرآن الكريم عدة ألفاظ للدلالة على تقدم العمر، ومنها لفظة (الشيب) التي وردت في القرآن ثلاث مرات[٤]، ومنها لفظة (شيخ) التي وردت في القرآن الكريم أربع مرات، ثلاثة منها جاءت بصيغة الإفراد، وواحدة بصيغة الجمع[٥]، ومنها لفظة (الكِبَر التي وردت ست مرات[٦]، وفي السطور التالية ألقى الضوء على هذه الألفاظ بلاغيًّا.

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، ٤ :١٤٠.

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن". تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (ط١، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ): ٥٨٦.

(٣) ينظر: أحمد غازي العبيدي،" الأعمار المتفاوتة في القرآن الكريم". *مجلة الدراسات المستدامة، الجمعية العلمية للدراسات التربوية المستدامة ٤. (٢٠٢٢م): ٤٥٨.*

(٤) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي،" المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم". (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ): ٣٩٨.

(٥) ينظر: المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٦) ينظر: المصدر السابق: ٥٨٨.

المطلب الأول: الأسرار البلاغية للتعبير بلفظ الشيب في القران الكريم

من الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم في الدلالة على تقدم العمر لفظة (الشيب)، وقد وردت في ثلاثة مواضع، وهي في سورة مريم، والروم، والمزمل، وقد كان لاستعمالها غرض بلاغي ومقصد معنوي.

وقد تحدث الدكتور محمد حسن جبل عن المعنى المحوري للشيب في القرآن الكريم، مبينًا الأثر الظاهري للشيب، وسبب ذلك فقال: " تحول سواد شعر الرأس إلى بياض تأثرًا بضعف الشيخوخة"(١).

أولًا: الشيب في آية سورة مريم:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾، جاءت لفظة الشيب على لسان نبي الله زكريا في معرض دعائه رب العزة بأن يهب له من فضله ذرية ترثه وترث من آل يعقوب، وبدأ يفصل حالة الضعف والكِبَر التي حلّت به من باب الاسترحام لحاله، فبدأ بالضعف الخفي المتمثل في وهن العظام، والذي يدل على الضعف العام، ثم عطف عليها بياض الرأس، وهو ضعف ظاهر الرؤية لمن حوله.

بدأت الآية بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ﴾؛ وهى جملة مبينة لقوله تعالى: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا}، وترك العطف بين الجملتين لشدة الوصل بينهما؛ لأن دعاء زكريا كان بصوت خفي تضرعًا لله عز وجل، وأَدْخل في الإخلاص لطلب الإجابة.

أما قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾؛ فكناية عن الضعف العام الذي أصاب جسمه بالكامل؛ لأن العظام إذا ضعفت وخارت؛ ضَعُف بناء الجسد بالكامل وهدمت قوته، يقول الزمخشري: "إنما ذكر العظم؛ لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو

(١) محمد حسن جبل، "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم". (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب ٢٠١٠م)، ٢: ١١٠١، (ش ي ب).

أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن"[١]، وهو ما أكده علم الطب الحديث، إذ بيّن أن كثافة العظام تقِلّ مع تقدم العمر، وبالتالي يصاب الإنسان الهرِم بهشاشة العظام، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بتعبير علمي دقيق {وَهَنَ ٱلْعَظْمُ}[٢]، أي: "ضعف تماسك البدن أو الشيء لاشتماله على رخاوة، ولذهاب الصلابة منه"[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ فيه استعارة مكنية، جاءت في الفعل: (اشتعل)، إذ شبه انتشار الشيب واندلاعه في جلّ الرأس بالنار في سرعة انتشارها، بجامع (الانتشار في كل)، والاستعارة مكنية؛ فالمحذوف فيها المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الفعل "اشتعل"؛ ليبين سرعة انتشار الشيب في رأسه واشتعاله فيه، حتى أصبحت حالته مع الشيب لا تحتاج لرؤية راءٍ، وهذا من باب استعارة محسوس لمحسوس، بجامع الانبساط والانتشار.

وقد فصل الزمخشري الحديث في هذه الأية فقال: "شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر، وفشوّه فيه وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته، وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس: اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا"[٤]، فبين

(١) أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ٣ :٤.

(٢) ينظر: عبد الدايم الكحيل، "هل تحدث القرآن عن أسرار الشيب". *مجلة الإعجاز العلمي، رابطة العالم الإسلامي ٤٣، (٢٠١٣م): ٩.*

(٣) ينظر: جبل، "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم"، ٤:٢٣٢٧، (و هـ ن).

(٤) الزمخشري، "الكشاف"، ٤:٣.

أن إسناد الاشتعال إلى الرأس، مع أن الذي يشتعل الشعر من باب المجاز المرسل، وعلاقته المكانية؛ لأن مكانَ الشعر الرأسُ.

وأما السر في إسناد الاشتعال إلى الرأس مع أن الذي يشيب جزء من الرأس؛ فلإفادة شمول الاشتعال جميع الرأس(١)، كما أن فيه دلالة على التقدم الشديد في العمر، والذي صاحبه الابيضاض الكامل للرأس، يقول الطاهر بن عاشور: "أسند الاشتعال إلى الرأس، وهو مكان الشعر الذي عمه الشيب؛ لأن الرأس لا يعمه الشيب إلا بعد أن يعم اللحية غالبًا، فعموم الشيب في الرأس أمارة التوغل في كبر السن"(٢)، وهذا ما يتوافق مع عمر نبي الله زكريا حين دعائه، حيث اختلفت الروايات في عمره ما بين الستين والخامسة والثمانين(٣).

وتعد هذه الآية من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ لأن العلم الحديث قد بيّن أن عملية الاشتعال التي تحدث في الشعر وتنتج الشيب لها أسباب علمية، وهي أن المادة المسؤولة عن التسبب في الشيب هي **H2O2**، وهي مادة قابلة للاشتعال، ويزيد تركيز هذه المادة مع تقدم السن، مما يؤدى إلى تفاعلات كيميائية تمنع الميلانين من التشكل، فالاستعارة القرآنية دقيقة علمية؛ لأن فيها إشارة خفية إلى حدوث تفاعلات كيميائية تؤدي إلى الشيب(٤).

ثانيًا: الشيب في آية سورة الروم:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ

(١) محمد الطاهر بن عاشور، "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ)، ١٨٣:٧.

(٢) المرجع السابق، ٦٤:١٦.

(٣) ينظر: الزمخشري، "الكشاف"، ٣:٤.

(٤) ينظر: الكحيل، "هل تحدث القرآن عن أسرار الشيب "، ٩.

بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴾[1]، فعند الوقوف على معنى الآية نجد أنها دلت على قدرة وعظيم خلْق الله للموجودات، فابتداء الخلق من عدم وضعف ثم ردّهم بعد الضعف إلى القوة ثم عودته إلى الضعف مرة أُخرى؛ لهو أكبر رد على منكري البعث، وقد بين العلماء أن هذا "استدلال على عظيم القدرة في مختلف المصنوعات من العوالم؛ لتقرير إمكانية البعث، وتقريب حصوله إلى عقول منكريه؛ لأن تعدد صور إيجاد المخلوقات وكيفياته من ابتدائها عن عدم أو من إعادتها بعد انعدامها وبتطور وبدونه مما يزيد إمكان البعث وضوحًا عند منكريه"[2]، فالشخص يبدأ ضعيفًا في طفولته، ثم قويًا في شبابه، ثم يرجع إلى ضعف شيخوخته، فمن ضعف إلى قوة، ومن قوة إلى ضعف وشيب.

جاءت الآية بأسلوب خبري المعتمد على اسمية الجملة، إذ بدأت بلفظ الجلالة: "ٱللَّهُ"؛ ليبين ثبوت ودوام خلق تلك الموجودات من العدم ورجوعها إلى العدم، وجاء التعبير بلفظ الجلالة:"ٱللَّهُ"؛ لأنه في معرض الرد على المشركين المنكرين لمقام الربوبية؛ لأن المقام مقام حجاج على إنكارهم، وفي التعبير بالاسم الموصول وصلته في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم﴾ فالموصول هنا إيماء لوجه بناء الخبر، فالمقصود منه إثبات الربوبية لله عز وجل في إيجاده المخلوقات من عدم ثم عودتها إلى العدم والبعث، وهذا كفيل بإبطال حجة المشركين في إنكارهم للبعث بعد العدم.

وقد جاءت (من) الابتدائية في قوله تعالى:﴿مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾، أي بداية خليقتكم من الضعف، وجعل الضعف أساس أمركم، فهو الأصل؛

(١) الروم: الآية ٥٤.

(٢) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير". ١٢:١٢٧.

حتى يتمكن الوصف (الضعف) من الموصوف (الخلق)، وقد عطف بـ"ثم" ليدلل على التراخي الزمني بين المراحل العمرية المختلفة: مرحلة الطفولة الموصوفة بالضعف، ومرحلة الشباب الموصوفة بالقوة، ثم العودة مرة أُخرى إلى حالة الضعف وهي مرحلة الشيب، والهرم، وتلك من دلائل صنع الله عز وجل في خلقه، يقول الرازي: " قوله ﴿ من ضعف ﴾ إشارة إلى حالة كان فيها جنينًا ثم طفلًا مولودًا ثم رضيعًا ومفطومًا فهذه أحوال غاية الضعف، وقوله: {ثم جعل من بعد ضعف قوة} إشارة إلى حالة بلوغه وانتقاله وشبابه واكتهاله" (١)، كما جاء تنكير: (ضعف، وقوة) في الآية لبيان النوع: "فضعف المذكور ثانيًا هو عين ضعف المذكور أولا، وقوة المذكورة ثانيًا عين قوة المذكورة أولًا، وقولهم: النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى، يريدون به التنكير المقصود منه الفرد الشائع، لا التنكير المراد به النوعية"(٢).

وقد عبر القران الكريم عن حالة الضعف التي عليها بني آدم بداية ونهاية بالكناية في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾؛ عن مرحلة الطفولة؛ ليبين حالة الضعف التي عليها جنس الأطفال؛ وفي هذا بيان لمقدرة الله عز وجل على الإنشاء من الضعف، ثم يقوي هذه الكناية بكناية أخرى في قوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ عن مرحلة الشباب، ولا شك أنها مرحلة قوة تأتي بعد حالة ضعف الطفولة؛ ثم قواهما بكناية ثالثة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾عن مرحلة تقدم العمر والكِبَر، ولذا عطف على الضعف قوله: ﴿ وَشَيْبَةً ﴾ لتفترق عن

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ٢٥:١١١.

(٢) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢١:١٢٨.

حالة الضعف الأولى، وليبن أن الضعف –هنا– كناية عن حال الشيخوخة والهرم[١]، وقد اقترن الشيب بالضعف في هذه الكناية؛ ليدلل على أن هذا الضعف لا قوة بعده، وأن بعده العدم، وأن الشيب نذير للموت وإنذار بدنو الأجل فهو المرحلة الأخيرة من الضعف التي يصل لها الخلق جميعا.

وبعد ذكر مراحل خلق الإنسان يختم الذكر الحكيم بقوله تعالى: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ وفيها لون من ألوان البديع (تشابه الأطراف) فالمقدرة على خلق ما يريده رب العزة تتشابه وتتناسب مع مراحل خلق الإنسان المذكورة؛ وأما تذييل الآية بقوله: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾؛ فالظاهر أن ذلك يتناسب "تطور خلق الإنسان في بداية الآية هو مقتضى الحكمة، وهو من شؤون العلم، وإبرازه على أحكم وجه هو من أثر القدرة"[٢] .

ثالثًا: الشيب في آية سورة المزمل:

جاء قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾[٣] للحديث عن حالة المكذبين للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ومتحديًا إياهم أن هناك يوم حساب وعقاب لا ينفع فيه الاتقاء، بل من شدة أهواله تشيب الوالدان قبل أوانها.

وقد بدأت الآية الكريمة بأسلوب الاستفهام الذي خرج عن حقيقته إلى التوبيخ

(١) ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م)، ٢:٢٠٢.

(٢) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢١:١٢٨.

(٣) المزمل: الآية ١٧.

والتعجيز، و "الِاسْتِفْهَامُ بِكَيْفَ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّعْجِيزِ وَالتَّوْبِيخِ... وقد نشأ هذا الاستفهام عن اعتبارهم أهل اتعاظ وخوف من الوعيد ...فدلت فاء التفريع واسم الاستفهام على هذا المعنى. فالمعنى: هبكم أقدمتم على تحمل عذاب الدنيا فكيف تتقون عذاب الآخرة"[(١)] يوبخهم على كفرهم، ويثبت العجز لهم عن اتقاء شر ذلك اليوم.

وأما إسناد الإشابة لليوم فهي من باب المجاز العقلي، حيث نسب الفعل –وهو التشييب– إلي الظرف وهو يومًا؛ لوقوعه فيه، مع أنه حقيقة فعل الله تعالى[(٢)]، وقد تكون علاقته السببية[(٣)] باعتبار أن حضور هذا اليوم سببًا في إشابة شعر الأطفال، وهذه مبالغة في شدة أهوال هذا اليوم.

وقد اختلف العلماء في إشابة الولدان هل جاءت على الحقيقة أم المجاز، ومن قال بالمجاز اختلف في نوعه، هل هو استعارة تمثيلية أو كناية، وذلك على النحو التالي:

١- منهم من يرى أن الأسلوب قد جاء على الحقيقة، وأن الولدان يشيبون فعلًا، ويكون في الأسلوب مبالغة في شدة اليوم، ومنهم أبو منصور الماتريدي الذي يقول: "جائز أن يكون هذا على التحقيق: فيشيب الولدان لهول ذلك اليوم، ويصير الشيب سكارى؛ لشدة هوله"[(٤)]، فكأن هول اليوم أشاب الوليد مبالغةً.

---

(١) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٩ :٢٧٥.

(٢) ينظر: عبد السميع عماد على، "التيسير في أصول واتجاهات التفسير". (الإسكندرية: دار الإيمان، ٢٠٠٦م): ٧٨.

(٣) من ملابسات المجاز العقلي السببية، وهي إسناد الفعل إلى سببه. ينظر: عبد المتعال الصعيدي "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة". (ط ١٧، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) ٣: ٤٦٢.

(٤) ينظر: محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، "تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة". تحقيق: الدكتور مجدي باسلوم، (ط١، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، =

٢- ومنهم من يرى أن الأسلوب قد جاء على الاستعارة التمثيلية، كالشهاب الخفاجي الذي يقول: "المعنى أنه شبه يوم القيامة وما فيه من الأهوال بيوم يسرع فيه التسبب لهجوم الهموم والأحزان، ثم أطلق لفظ المشبه به على المشبه، وشاع فيه حتى صار مثلًا؛ إذ لا يصير الولدان شيبًا حقيقة، فهو تمثيل بيوم مفروض؛ إذ لا نظير له في الخارج"[١].

٣- ومنهم من يرى أن الأسلوب جاء على الكناية، وهو ما عليه كثير من العلماء، وهذه الكناية إما عن شدة اليوم وهوله، وإما عن طوله، يقول الرازي: "أنه تعالى ذكر من هول ذلك اليوم أمرين: الأول: قوله: يجعل الولدان شيبًا، وفيه وجهان:

الأول: أنه مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد: يوم يشيب نواصي الأطفال، والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب؛ لأن كثرة الهموم توجب انقصار الروح إلى داخل القلب، وذلك الانقصار يوجب انطفاء الحرارة الغريزية، وانطفاء الحرارة الغريزية وضعفها، يوجب بقاء الأجزاء الغذائية غير تامة النضج، وذلك يوجب استيلاء البلغم على الأخلاط، وذلك يوجب ابيضاض الشعر، فلما رأوا أن حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم، جعلوا الشيب كناية عن الشدة والمحنة، وليس المراد أن هول ذلك اليوم يجعل الوالدان شيبا حقيقة؛ لأن إيصال الألم والخوف إلى الصبيان غير جائز يوم القيامة، الثاني: يجوز أن يكون المراد وصف ذلك

=

١٠: ٢٨٧.

(١) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، "حاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي". (بيروت: دار صادر)، ٨ :٢٦٧.

اليوم بالطول، وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب"[١] .

فالشيب هنا كناية عن أهوال ذلك اليوم؛ لأنه شاع أن الهم مما يسرع به الشيب، فلما أريد وصف همّ ذلك اليوم وشدته ذكر إشابته لشعر الأطفال، فأطلق لفظ الإشابة، وأراد الملزوم، وهو هول وشدة يوم القيامة، فالكناية هنا عن صفة الهول، أو تكون الكناية عن صفة طول اليوم، فكأن الأطفال قد انتقلوا من سن الطفولة إلى الكهولة في يوم واحد دون أن يمروا بمرحلة الشباب.

وفي هذا بيان للدور والأثر النفسي في إحداث الشيب والضعف، فالآية تدل على صيرورة الولدان شيوخا في الضعف والنحافة وعدم طراوة الوجه، وذلك نهاية في شدة ذلك اليوم[٢].

يقول الطاهر بن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَوۡمًا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴾[٣]: "وصف اليوم بأنه يجعل الولدان شيبًا وصف له باعتبار ما يقع فيه من الأهوال والأحزان؛ لأنه شاع أن الهم مما يسرع به الشيب، فلما أريد وصف همّ ذلك اليوم بالشدة البالغة أقواها أسند إليه يشيب الولدان الذين شعرهم في أول سواده.... وإسناد يجعل الولدان شيبًا إلى اليوم مجاز عقلي بمرتبتين؛ لأن ذلك اليوم زمن الأهوال التي تشيب لمثلها الأطفال، والأهوال سبب للشيب عرفا، والشيب كناية عن هذا الهول فاجتمع في الآية مجازان عقليان وكناية ومبالغة في قوله: يجعل الولدان شيبا [٤].

(١) الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ٣٠ :٦٩٢.
(٢) الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ٣٠ :٦٩٢.
(٣) المزمل: من الآية ١٧.
(٤) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٩ :٢٧٥.

المطلب الثاني: بلاغة التعبير بلفظ الشيخ في القرآن الكريم

من الألفاظ التي استخدمها الذكر الحكيم في الدلالة على تقدم العمر لفظة: "شيخ"، والشيخ في اللغة معروف، بين الشيخوخة[١]، وقد حدد ابن منظور السن الذي يطلق فيه على المرء شيخًا فقال: "الشيخ: الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب؛ وقيل: هو شيخ من خمسين إلى آخره...والجمع أَشياخ وشِيخانٌ وشُيوخٌ وشِيَخَة"[٢].

وقد وردت لفظة "الشيخ" في القرآن الكريم أربع مرات، ثلاثة بصيغة المفرد "شيخ"، ومرة واحدة بصيغة الجمع "شيوخ".

وقد بين الدكتور جبل أن الشيخ هو: ما استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب، وهو من الخمسين إلى الثمانين، وأن المعنى المحوري لهذه اللفظة في القرآن الكريم يدور حول جفاف البدن وذبول نضارته؛ لذهاب طَراءة الشباب وغَضاضته من أثنائه: كحال الشيخ[٣].

أولًا: الشيخ في آية سورة هود:

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾[٤]، جاءت الآية الكريمة في معرض بشارة سيدنا إبراهيم بالولد، فتحدثت السيدة سارة متعجبة من ذلك معللة لكلامها، كيف ألد، وأنا سيدة عجوز، وهذا بعلي

(١) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٣ :٢٣٤.

(٢) محمد بن مكرم بن على بن منظور، " لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ٣ :٣١ (ش ي خ).

(٣) ينظر: جبل، "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم"، ٢: ١١١٣ (ش ي خ).

(٤) هود: الآية ٧٢.

شيخًا قد بلغ من الكِبَر عتيًا؟!

وقد بدأت الآية الكريمة بأسلوب المحاورة المصدر بالفعل الماضي (قالت)؛ ليحقق عز وجل بشارة الملائكة للسيدة سارة وسيدنا إبراهيم بالولد، لأن في المحاورة بسطًا للكلام، واستخدامًا للمنهج العقلي في إثبات البشارة، وهذا أبلغ في تحقيق: البشارة، فبدأت قولتها بالنداء الذي خرج عن حقيقته إلى المجاز، حيث جعلت من الويلة التي لا تعقِل شخصًا يعقل ثم نادته، يقول الطاهر ابن عاشور: "النداء في يا ويلتى استعارة تبعية؛ بتنزيل الويلة منزلة من يعقل حتى تنادى، كأنها تقول: يا ويلتي: احضر هنا فهذا موضعك"(١).

فشُبهت الويلة –وهي الحادثة الفظيعة– بإنسان، ثم حُذف المشبه به، ورُمز إليه بشيء من لوازمه، وهو المناداة، على سبيل الاستعارة المكنية.

وقد جعلها بعض العلماء من قبيل الكناية عن الأمر الفظيع لشهرته بين الناس كالبقاعي الذي قال: "كنى بها هنا عن العجب الشديد لما فيه من الشهرة ومراجمة الظنون"(٢) .

وأشار ابن عاشور أن "ويلتي" قد تكون اسم مرَّة من الويل، وتستعمل عند التعجب، يقال: يا ويلتي(٣).

ثم قالت متعجبة ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ ﴾ فخرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى غرض بلاغي، وهو التعجب، والتعجب هنا ليس موجهًا لقدرة الله عز وجل، فهو القادر على كل شيء، ولكن التعجب من ولادتها في هذه الحالة التي

(١) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٢ :١٢٠.

(٢) إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي)، ٩ :٣٣٢.

(٣) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٢ :١٢٠.

هي عليها وزوجها، يقول أبو منصور الماتريدي: "هي لم تتعجب من قدرة الله أنه قادر على أن يهب الولد في كل وقت؛ ولكنها تعجبت لما رأت العادة في النساء والرجال أنهم إذا بلغوا المبلغ الذي كانوا هم لم يلدوا؛ فتعجبها أنها تلد في الحال التي هي عليها، أو يُرَدَّان إلى حال الشباب؛ فعند ذلك يولد لهما، وكلاهما عجيب بحيث الخروج على خلاف العادة، لا بحيث قدرة الرب"(١) .

أما حكاية قولها: ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ فالإشارة بـ "هذا"؛ لتنبّه على شيخوخته، واختلفوا في سن سيدنا إبراهيم والسيدة سارة يومئذ الذي استوجب شيخوختهما، على أربعة أقوال: أحدها: أن إبراهيم كان ابن تسع وتسعين سنة، وسارة بنت ثمان وتسعين، والثاني: أن إبراهيم كان ابن مائة سنة، وسارة بنت تسع وتسعين، والثالث: أن إبراهيم كان ابن تسعين، وسارة مثله، والرابع: كان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة، وسارة بنت تسعين"(٢).

وأما {شيخًا} في الآية فهي منصوبة على الحال، وهذا من لطائف النحو وغوامضه؛ لأن كلمة "هذا" للإشارة، فكأن قولها: ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ قائم مقام أن يقال: أشير إلى بعلي حال كونه شيخًا، والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة، وهي الشيخوخة"(٣) أي أن الشيخ –هنا– لتبين الحالة التي عليها إبراهيم من الشيخوخة، ولهذا بيّن العز بن عبد السلام: إن قولها هذا كناية عن عدم إتيانها، "عرَّضت بذلك عن ترك غشيانه لها"(٤)، فأطلق لفظ الملزوم وهو حالة شيخوخته وما

(١) الماتريدي،" تأويلات أهل السنة"، ٦ :١٥٧.

(٢) جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي،" زاد المسير في علم التفسير". تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ)، ٢ :٣٨٦.

(٣) الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ١٨: ٣٧٥.

(٤) أبو محمد عز الدين عبد العزيز عبد السلام، "تفسير القرآن وهو اختصار لتفسير الماوردي". =

فيها من وهن وضعف، وأرادت اللازم منها وهو عدم المقدرة على إتيان المرأة، والقرينة غير مانعة من المعنى الأصلي.

يقول بعض المفسرين إن: "المانع من التوالد هذا الذي حصل من الشيخوخة، لا أنه بعلي، وإذا لم يعلم كونه بعلاً لها، فالفائدة العقلية مع كونها موصوفة بالشيخوخة، فينتفي كونه بعلاً لها عند انتفاء الشيخوخة"(١).

أي أن المانع من حدوث الحمل هو حالة الشيخوخة التي عليها زوجها سيدنا إبراهيم، وليس المانع كونه زوجًا لها، وهذا من لطيف النحو وغامضه، "وذلك أنك إذا قلت: هذا زيد قائمًا، فإن قصدت أن تخبر به من لم يعرف زيداً: أنه زيدٌ، لم يجز؛ لأنه يكون زيداً ما دام قائماً، فإذا زال عن القيام فليس بزيد، وإنما تقول: هذا زيد قائماً، لمن يعرف زيداً، فيعمل في الحال التنبيه، أي: انتبه لزيد في حال قيامه، أو: أشير إلى زيد في حال قيامه، لأن "هذا" إشارة إلى ما حضر"(٢).

أما عن سر التعبير بالبعل دون الزوج؛ لأن كلمة البعل تدل على أنه قيّم أمرها(٣).

=

تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، (ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)، ٢: ٩٦.

(١) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)". تحقيق: إياد محمد الغوج، د. جميل بني عطا، (ط١، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، ٨ :١٣٦.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي". تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ٢ :٢٤٥٧.

إن في تسمية الزوج بعلاً: "دقة شديدة؛ لأن البعل هو الذي يقوم بأمر المبعول، ولا يحوجه لأحد، كذلك الزوج يقوم بأمر زوجته فيما لا يستطيع أبوها ولا أخوها أن يقوما به، وهو الإحساس بالأنوثة والإخصاب، وهو أهم ما تطلبه المرأة"(١)، كما أن كلمة "بعل" تعدُّ تقويةً للكناية، فقد شيّخت بعلها، وفي الشيخوخة إنقاص للمهام للزوجية.

وبناء على ما سبق نجد أن لفظ الشيخ في الآية جاء كناية عن الضعف الشديد الذي يمنع من إتيان المرأة.

ثانيًا: الشيخ في آية سورة يوسف:

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٢) تبين الآية محاورة سيدنا يوسف عليه السلام مع إخوته حتى يُطلق سراح أخيه بنيامين، وكان حديثهم مبنيًا على استرقاق قلبه عن طريق ذكر صفات أبيهم من الكِبَر والضعف والشيخوخة ورقة القلب.

بدأت الآية: ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ ﴾ بالنداء للبعيد، مع أنهم في المكان نفسه، والسر في ذلك بُعد منزلته، فهو العزيز في قومه الذي يملك زمامهم ويطيعون أمره، كما فيه ترقيقًا له بكونه مالك أمورهم وصاحب الفضل في إطلاق سراحهم، قول ابن عاشور: "نادوا بوصف العزيز إما لأن كل رئيس ولاية مهمة يدعى بما يرادف العزيز فيكون يوسف– عليه السلام– عزيزا، وإما لأن يوسف ضمت إليه ولاية العزيز الذي

(١) محمد متولي الشعراوي، "تفسير الشعراوي – الخواطر"، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم) ، ١ : ٦٥٦٢.

(٢) يوسف: الآية ٧٨.

اشتراه فجمع التصرفات وراجعوه في أخذ أخيهم"(١).

أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيۡخٗا كَبِيرٗا ﴾ فهي أوصاف مسوقة لاسترقاق يوسف لإطلاق سراح أخيهم، وقد استعانوا على ذلك بذكر أوصاف أبيهم وهي، أولا: كونه أبًا، ثانيًا: كونه شيخًا كبيرًا في السن، ثالثًا: قولهم: "كبيرًا" يحتمل أن تكون تأكيدًا لصفة الشيخوخة، ويحتمل أن تكون كبيرًا في قومه، وهذه الأوصاف التي ذكروها ليس المراد من ذكرها أصل معناها، إنما ما لازم الأصل من حنو الأب، وضعف الشيخ، واستحقاق جبر الخاطر للشخص الكبير في قومه، يقول الطاهر بن عاشور: "وصفوا أباهم بثلاث صفات تقتضي الترقيق عليه، وهي: حنان الأبوة، وصفة الشيخوخة، واستحقاقه جبر خاطره؛ لأنه كبير قومه أو لأنه انتهى في الكِبَر إلى أقصاه، فالأوصاف مسوقة للحث على إطلاق سراح الابن لا لأصل الفائدة"(٢) .

أما عن حنو الأب فيقول الماتريدي: " أرادوا -والله أعلم- أن يرقوا قلبه بهذا، {إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا} لما يكون قلب الشيخ بولده الصغير أميل؛ وهو عنده آثر، وأكثر منزلة منا"(٣).

وأما الشيخوخة فإن المراد منها الضعف والوهن، ولهذا قد أشار الطاهر بن عاشور إلى أن هذه الألفاظ الثلاثة "أب، شيخ، كبير" كنايات عن حنو الأب وصفة الشيخوخة واستحقاق جبر الخاطر(٤).

وأما قوله: ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ فيحتمل أن تكون على سبيل

(١) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٣ :١٦.
(٢) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٣ :١٦.
(٣) الماتريدي، "تأويلات أهل السنة"، ٦ :٢٧١.
(٤) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٣ :٣٦.

الحقيقة، وأن هناك محذوفًا، أي أنا نراك من المحسنين إن فعلت ذلك وتركت أخانا، أو من المحسنين عمومًا، ويحتمل أن يكون مجازًا مرسلًا باعتبار ما كان، فيكون المعنى: إنا نراك من المحسنين فيما مضى في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة، فيكون الإحسان باعتبار فعله السابق معهم، أو تكون علاقة المجاز ما سيكون، فيكون المعنى: إنا نراك من المحسنين إن أطلقت سراحه، من باب إحسان الظن به، يقول البغوي: "إنا نراك من المحسنين، في أفعالك. وقيل: من المحسنين إلينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة. وقيل: يعنون: إن فعلت ذلك كنت من المحسنين"(١).

ثالثًا: الشيخ في آية سورة القصص:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾(٢).

تقص هذه الآية أمر سيدنا موسى عندما ورد ماء مدين، وخطابه مع المرأتين اللتين كانتا تذودان في السقي، وإخبارهما عن حالة أبيهم من الكِبَر والضعف والشيخوخة.

فقوله تعالى: ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ ﴾ فيه استعارة في كلمة: "دون" حيث إن أصل معناها الأسفل، لكنه غير مقصود، وإنما المقصود الجانب والجهة من المكان ، قال ابن عاشور: "فشبه المكان الذي يبلغ إليه الماشي بعد مكان آخر بالمكان الأسفل من الآخر، كأنه ينزل إليه

(١) البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، ٢ :٥٠٧؛ ينظر: ابن الجوزي،"زاد المسير في علم التفسير"، ٢ :٤٦١.

(٢) القصص: الآية ٢٣.

الماشي؛ لأن المشي يشبه بالصعود وبالهبوط باختلاف الاعتبار"[١]، ثم حذف المشبه" دون بمعنى أسفل "أقام بالمشبه به" دون بمعنى جانب" مقامه على سبيل الاستعارة المكنية، والاستعارة أبلغ لأنها تدل على المبالغة في بعدهم عن الرعاء حتى كأنهن في منزلة أقل منهم.

وأما قوله: ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ فليس مرادًا ومقصودًا حقيقة معناه وألفاظه، لكنه كناية عن صفة، وقد اختلف العلماء في هذه الصفة على وجهين: الأول: أنه كناية عن حيائهن وعدم اختلاطهن بالرجال، والثاني: كناية عن ضعفهن؛ لأنهن لا يستطعن مزاحمة الرجال، يقول الماوردي: "في امتناعهما من السقي حتى يصدر الرعاء وجهان: أحدهما: تصونًا عن الاختلاط بالرجال، الثاني: لضعفهما عن المزاحمة بماشيتهما"[٢]، فأطلق لفظ اللازم ، وهو عدم السقي حتى مغادرة الناس، وأراد الملزوم وهو صفة الحياء أو الضعف.

وأما التعبير بلفظ الشيخ والكبير في قوله تعالى: ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ فليس مقصدهم الإخبار عن أبيهم بأنه كبير في السن فقط، ولكن قولهم كناية عن ضعفه وعدم مقدرته على المزاحمة في السقيا [٣]، وإلا لا معنى لذكر كبر أبيهما بلا سبب يحملهما على ذلك سوى حالة الضعف التي عليها أبوهما[٤] ، فأطلق اللازم وهو صفة الشيخوخة والكِبَر، وأراد الملزوم وهو ما يستتبعها من ضعف وهرم، والقرينة غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

---

(١) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٠ :٩٩.

(٢) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، "تفسير الماوردي = النكت والعيون". تحقيق: السيد بن عبد المقصود ابن عبد الرحيم. (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٤ :٢٤٦.

(٣) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٠ :١٠٠.

(٤) ينظر: الماوردي، "تفسير الماوردي = النكت والعيون"، ٨ :١٦١.

وبذلك يكون التعبير بلفظ الشيخ هنا كناية عن الضعف والوهن.

رابعًا: الشيوخ في آية سورة غافر

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[(١)].

يتحدث الذكر الحكيم في الآية السابقة عن أطوار الإنسان منذ خلقه ونشأته، وحتى وفاته، وما يتخلل ذلك من مراحل (طفولة، شباب، شيخوخة)، وأن الموت قد يأتي قبل أن تختم هذه الأطوار، وفي هذا دليل وعظة للعقلاء.

وبدأت الآية بالضمير: (هو) العائد على رب العزة، وقد أسند إليه فعل الخلق والإنشاء، وتبديل أطوار الإنسان، وقد عرّف المسند إليه بالضمير؛ ليُفيد قصر فعل هذه الأشياء على رب العزة سبحانه وتعالى؛ لأن تعريف المسند إليه بالضمير يفيد القصر[(٢)].

يقول الرازي: "اعلم أنه تعالى رتب عمر الإنسان على ثلاث مراتب: أولها: كونه طفلًا، وثانيها: أن يبلغ أشده، وثالثها: الشيخوخة، وهذا ترتيب صحيح مطابق للعقل، وذلك لأن الإنسان في أول عمره يكون في التزايد والنشوء والنماء، وهو المسمى بالطفولية، والمرتبة الثانية: أن يبلغ إلى كمال النشوء وإلى أشد السن من غير أن يكون قد حصل فيه نوع من أنواع الضعف، وهذه المرتبة هي المراد من قوله لتبلغوا أشدكم، والثالثة: أن يتراجع ويظهر فيه أثر من آثار الضعف والنقص، وهذه المرتبة

(١) غافر: الآية ٦٧..

(٢) ينظر: محمد محمد أبو موسى، "خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني". (ط٧، القاهرة: مكتبة وهبة): ٣٠٦.

هي المراد من قوله ثم لتكونوا شيوخا"[١].

فالأطوار المشاهدة بالعين، والمختصة بنسل آدم عليه السلام ثلاثة، عبر عن المرحلة الأولى بقوله: ﴿ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾، وقد عبر بقوله: "طفلًا" وهو يريد الجمع؛ لأن الطفل يصدق على الواحد والاثنين والجمع، للمذكر والمؤنث[٢].

ثم تحدث عن المرحلة الثانية، وهى مرحلة الشباب، فعبر عنها بأهم ما يميزها وهو الشدة، والقوة، فأطلق لفظ اللازم وهو بلوغ الشدة، وأراد الملزوم وهو مرحلة أو طور الشباب، على سبيل الكناية، فكنى بقوله: ﴿ ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ﴾ عن طور أو مرحلة الشباب، مع عدم وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

ثم تحدث عن الطور الثالث والأخير، فقال: ﴿ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ ﴾، فكنى بقوله "شيوخًا" عن حالة الضعف والوهن اللازمين لهذه المرحلة، وتأتى دلالة العطف "ثم" التي تفيد التراخي الزمني، يقول الخطيب الشربيني: "﴿ثم﴾ يهبطكم بالضعف والوهن في مهاوي السفول ﴿ لتكونوا شيوخاً ﴾ ضعفاء غرباء، قد ماتت قوتكم ووهنت أركانكم"[٣]، فتلك الأطوار في خلق الإنسان يتخللها سنوات كثيرة، وكل طور منها له أعوام يعيشها الإنسان حتى يبلغ المرحلة التي تليها، لكن الإنسان قد لا يصل إلى المرحلة الأخيرة، وهي الشيخوخة، وهذا ما عبر عنه بقوله: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ ﴾ وعطف عليه بـ"الواو"؛ لاتصال تلك المرحلة بما قبلها، يقول الطاهر بن

(١) أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل". تحقيق: يوسف علي بديوي، وقدم له: محيي الدين ديب مستو، (ط١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ٢٧٠ :٥٣١.

(٢) الطاهر بن عاشور،" التحرير والتنوير"، ٢٤ :١٩٧.

(٣) محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير". (القاهرة: مطبعة بولاق الأميرية، ١٢٨٥هـ)، ٣ :٤٩٥.

عاشور: "﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ أي أن من قبل بعض هذه الأطوار، أي يتوفى قبل أن يخرج طفلًا –وهو السقط– أو قبل أن يبلغ الأشد، أو يتوفى قبل أن يكون شيخًا، ولتعلقه بما يليه خاصة عطف عليه بالواو ولم يعطف بـ(ثم)، كما عطفت المجرورات الأخرى"(١)، وقال أبو الفداء الخلوتي (ت ١١٢٧هـ) مفسرًا ﴿لِتَكُونُوا شُيُوخاً﴾: "أي تصيروا الى حالة الشيخوخة، والشيخ: يقال لمن طعن في السن واستبانت فيه، أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آجر عمره أو إلى ثمانين....يقال إذا ظهر البياض بالإنسان فقد شاب، وإذا دخل في الهرم فقد شاخ، قال الشاعر:

فمن عاش شب ومن شب شاب ومن شاب شاخ ومن شاخ مات(٢)

وأما قوله ﴿لتبلغوا أجلا مسمى﴾ أي: وقت محدد ومعلوم، والمقصود به وقت الموت، فعبر باللازم، وهو: ﴿أجلا مسمى﴾ ، وأراد الملزوم، وهو وقت الموت، على سبيل الكناية ، يقول الزمخشري: "أما وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى فمعناه: ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى، وهو وقت الموت، وقيل: يوم القيامة"(٣).

ويأتي قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ معطوفًا على قوله: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ "ليبين الله عز وجل أن المراد من مراحل وأطوار خلق الإنسان أن تكون دليلًا للعاقلين على أحقيته تعالى بالعبادة دون غيره، فمن اهتدى فقد عقل ومن لم يهتدِ فقد سلب هذه النعمة، ولهذا لم يذكر متعلقات الفعل تعقلون(٤) .

(١) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٤ :١٩٧.

(٢) إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي البرسوي، "روح البيان". (بيروت: دار الفكر)، ٨: ٢٠٨.

(٣) الزمخشري، "الكشاف". ٤ :١٧٧.

(٤) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٤ :١٩٨ – ١٩٩.

على أن ما تجدر الإشارة إليه أن المقصود بالذي خلقكم في الآية هو آدم عليه السلام أما بقية الأطوار فترجع إلى نسله عليه السلام[١].

وبناء على ما سبق يكون استعمال القرآن للفظة شيخ، أو شيوخ كناية عن الوهن والضعف، وما يترتب على هذا الضعف من عدم مقدرة تلائم سياق الآية.

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين، "تفسير القرآن العزيز". تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، (ط١، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م)، ٤ :١٤١.

المطلب الثالث: بلاغة التعبير بلفظ الكِبَر في القرآن الكريم

من الألفاظ التي استعملها الذكر الحكيم للدلالة على تقدم العمر لفظة: "كِبَر"، وقد بين علماء اللغة أن: "الكِبَرُ: مصدر الكبير في السن من الناس والدواب، فإذا أردت الأمر العظيم؛ قلت: كَبُرَ علينا كَبارةً"(١)، قال ابن فارس: "الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر، يقال: هو كبير"(٢).

وأما عن المعنى المحوري للكِبَر في القرآن الكريم فهو: "نُمُوّ حَجْم الشيء أو زيادته بالنسبة لحجمه أو لحجم غيره –كنمو جسم الناشئ شيئًا بعد شيء، أو زيادةُ حَجْمه عن غيره– وللتلازم بين امتداد زمن وجود الحي وعظم حَجْمه باطّراد؛ استُعمل في الامتداد الزمني (كِبَر السنّ)(٣).

أولًا: الكِبَر في آية سورة البقرة:

قال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤).

هذه الآية مثل ضربه الله عز وجل لرجل لديه بستان، قد ذهب عندما كان في أشد الاحتياج إليه، حيث كبر سنه وضعف عن الكد واستيفاء متطلبات الحياة، كما أن ذريته ضعفاء لا ينفعونه.

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، "كتاب العين". تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)، ٥: ٢٦٢، (ك ر ب).

(٢) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٥ :١٥٣(ك ب ر).

(٣) جبل، "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ٥: ١٨٦٤ (ك ب ر).

(٤) البقرة: الآية ٢٦٦.

وقد بدأت الآية بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ على سبيل الإنكار والتحذير؛ لتبين إنكار رب العزة وتحذيره لمن يُتْبع ما ينفق بالمن والأذى، وقد بين الرازي معنى الهمزة، وسر التعبير بـ (يود) فقال: "الهمزة في {أيود} استفهام لأجل الإنكار، وإنما قال: أيود، ولم يقل: أيريد؛ لأنا ذكرنا أن المودة هي: المحبة التامة، ومعلوم أن محبة كل أحد لعدم هذه الحالة محبة كاملة تامة، فلما كان الحاصل هو مودة عدم هذه الحالة؛ ذكر هذا اللفظ في جانب الثبوت، فقال: أيود أحدكم حصول مثل هذه الحالة تنبيهًا على الإنكار التام، والنفرة البالغة إلى الحد الذي لا مرتبة فوقه"(١) .

أما قوله تعالى: ﴿ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ ﴾ فهو تشبيه تمثيلي، جاء ليبين صورة كل من: رجل ينفق ماله، ويتبعه بالمن والأذى والضرر بين الناس، وينتظر منه الثواب والحسنة، فشبهه بصورة رجل له جنة فيها نخيل وأعناب، ويزرع فيها من كل الثمرات، وصاحبها قد مسه الكِبَر، وله أبناء في حاجة إلى خيرها، فيعصف بها ريح فيهلك ما فيها، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من خيبة أمل بعد رجاء منفعة، "وهذا مثل ضربه الله لنفقة المنافق والمرائي، ينفقانهما رياء الناس، فهو يحمد على ما ظهر منه في الدنيا، ولا حاجة به إلى ذلك في الآخرة كالرجل الذي له جنة من نخيل وأعناب، ولا كبر معه ولا ذرية، فلما كبر، وصارت له ذرية ضعفاء، وضعف عن الكسب والتصرف، ولا طاقة لذريته على التكسب؛ لضعفهم وصغرهم، فعند ذلك احترقت جنته، فانقطع في أحوج ما كان إليها، ولم ينتفع بها في شيبته وقلة عياله؛ إذ كانت سالمة، كذلك المنافق أو المرائي، إذا أتى في الآخرة لم يجد شيئاً من عمله، وهو أحوج ما يكون إليه، ولم ينفعه حمد الناس على ما ظهر لهم من عمله، فحاجته إلى العمل

(١) الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ٧ :٥١.

الصالح، كحاجة هذا الكبير الذي له ذرية ضعفاء إلى جنته[١].

وقد حوت بنية المشبه به(حال الجنة بصفاتها وصاحبها) على صور بلاغية فرعية، ومنها: قوله تعالى: "﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾فهو من باب عطف العام على الخاص فذَكَرَ الجنة، وفيها من النخيل والأعناب، ثم ذكره مرة أخري، بقوله: ثمرات، فكأنه ذكر الشيء مرتين بمرة بخصوصه وهى الأعناب والنخيل، ومرة بعمومه وهي الثمرات، قال الشعراوي: "كأن الجنتين –هنا– فيهما أشياء كثيرة، فيهما أعناب، وزادهما الله عطاء النخيل، ثم الزرع، وهذا يسمى في اللغة عطف العام على الخاص، أو عطف الخاص على العام، ليذكر الشيء مرتين، مرة بخصوصه، ومرة في عموم غيره"[٢].

أما قوله تعالى:﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ فتشبيه بليغ، حيث شبه الإعصار "الريح الشديدة" بكونه مشتملًا على نار، ووجه الشبه شدة الحرارة في كل، حذف وجه الشبه وأداة التشبيه، يقول الشيخ الشعراوي: "فَأَصابَها –أي تلك الجنة– إِعْصارٌ أي ريح عاصفة تستدير في الأرض ثم تنعكس منها ساطعة إلى السماء على هيئة العمود فِيهِ نارٌ شديدة، فَاحْتَرَقَتْ فصارت نعمها إلى الذهاب، وأصلها إلى الخراب، فبقى الرجل متحيرا لا يجد ما يعود به عليها، ولا قوة له أن يغرس مثلها، ولا خير في

(١) مكي بن أبي طالب القيسي، "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه". تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي مجموعة بحوث الكتاب والسنة –كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، (ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م)، ١: ٨٨٩.

(٢) الشعراوي، "تفسير الشعراوي – الخواطر"، ٢ :١١٥٩.

ذريته من الاعانة؛ لكونهم ضعفاء عاجزين عن أن يعينوه"(١).

وقوله: ﴿ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ ﴾ قيد للمعني في بنية المشبه، وهو على تقدير: "وقد أصابه الكبر"، ولذلك عطفه على "أَيَوَدُّ"، وهو مخالف له، وقيل: هو محمول على المعنى، تقديره: "أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر"(٢)، وقيد صورة المشبه بإصابته الكبر؛ لأن الكِبَر قد يُنسِي من سعى الشباب في كسبه، فكان أضعف أملاً وأعظم حسرة"(٣)، فعلى هذا الكبر هنا كناية عن الضعف على الكسب.

ثانيا: الكِبَر في آية سورة آل عمران:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ (٤).

تتحدث الآية الكريمة عن بشارة سيدنا زكريا –عليه السلام– بالولد، وحديثه مع الملائكة متعجبًا من حدوث هذه البشارة، فبين استبعاد إنجابه لكونه شيخًا كبيرًا، كما أن زوجته عاقر لا تلد؛ فجاءه الرد بأن الله يفعل ما يريد وما يشاء.

بدأت الآية بأسلوب المحاورة بين سيدنا إبراهيم وبين ملائكة البشارة، فبدأ كلام سيدنا إبراهيم مخاطبًا ربه عز وجل: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ فبدأ كلامه بالاستفهام في قوله: "**أَنَّىٰ**" الذي خرج عن حقيقته إلى التعجب، حيث إن زكريا –عليه السلام– لا يستفهم عن كيفية إنجابه للولد، إنما يستعجب من حدوث ذلك؛ لكونه طاعنًا في السن، وامرأته لا تستطيع الإنجاب.

---

(١) المرجع السابق، ١ :٢٢٧.

(٢) مكي بن أبي طالب، "الهداية إلى بلوغ النهاية"، ١: ٨٨٩.

(٣) الماوردي، "النكت والعيون "، ١: ٣٤١.

(٤) آل عمران: الآية ٤٠.

وقد بين أحد العلماء أن قوله: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ﴾ كناية عن الشكر؛ لأن التعجب يستلزم الشكر، فأطلق لفظ الملزوم وهو {أَنَّىٰ} بإفادتها التعجب، وأراد اللازم، وهو الشكر على تلك النعمة(١).

وأما قوله: "﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾ فهو كناية عن عدم مقدرته على الإنجاب، حيث أطلق اللازم وهو الكِبَر، وأراد الملزوم وهو عدم قدرته على الإنجاب، مع وجود قرينة غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

يقول الإمام الطبري إن معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾ :"مَنْ بلغ من السن ما بلغتُ لم يولد لهُ(٢)، وآثر التعبير بقوله: {بَلَغَنِيَ} ولم يقل بلغتُ ؛ ليدلل على وصول الكِبَر إليه، فهو لم يذهب إلى الكبر والهرم، بل هو من سعى إليه وقصده، وتلك دلائل آداب النبوة العالية، فقال الشيخ الشعراوي: "لم يقل: «بلغت الكِبَر» بل قال: إن الكِبَر هو الذي جاءني ولم أجيء أنا إلى الكِبَر؛ لأن بلوغ الشيء يعني أن هناك إحساسًا ورغبة في أن تذهب إليه"(٣).

وقد أشار ابن عاشور إلى لطيفة تؤيد هذه الكناية، فقال:" وقد بلغني الكِبَر جاء على طريق القلب، وأصله وقد بلغت الكِبَر، وفائدته إظهار تمكن الكِبَر منه كأنه يتطلبه حتى بلغه"(٤).

أما قوله تعالى: "﴿ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ فهو وصف خاص بالنساء، حيث إن العاقر

(١) ينظر: الطاهر بن عاشور،" التحرير والتنوير"، ٣ :٢٤٢.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ٦ :٨١.

(٣) الشعراوي، "تفسير الشعراوي- الخواطر"، ٣ :١٤٤٧.

(٤) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣ :٢٤٢.

هي التي لا تحمل ولدًا؛ فقطعت رحمها عن الإنجاب، وقد آثر ذكر كبر سنه وقدّمه على عقر زوجته، مع أن الأصل في عدم الإنجاب يرجع -غالبًا- إلى الزوجة؛ تأدبًا ومراعاة لإحساس زوجه؛ لأن بلوغ الكِبَر للرجل ليس دليلًا على أنه عاجز عن الإنجاب؛ لمقدرته مع كبره على إخصاب الامرأة، ذلك إن لم يكن عاقرًا، ولكن المرأة هي العنصر المهم، فإن كانت عاقرًا؛ فذلك قمة العجز في الأسباب، وفي الوقت نفسه تضخيم لطلاقة قدرة الله عز وجل(١).

ولهذا جاء الختام مناسبا لتلك القدرة فقال: "﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ أي يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة، مثل ذلك الفعل: وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر(٢).

وبهذا جاء لفظ الكِبَر في بنية الكناية للدلالة على عدم المقدرة على الإنجاب.

ثالثًا: الكِبَر في آية سورة إبراهيم:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ تتحدث الآية الكريمة عن شكر سيدنا إبراهيم لربه حيث وهبه الله عز وجل الولد وهو في حالة الكِبَر والوهن والضعف مع تمكن الإياس من ذلك.

تبدأ الآية الكريمة بحمد سيدنا إبراهيم لله، وقد جاءت على الأسلوب الخبري لتبين استحقاق رب العزة بالحمد والثناء وثبوته له، فالأسلوب الخبري جاء ليبين تلك المعاني ويقررها في ذهن المتلقي، فالخبر: "يجيء بخطى ثابتة الأقدام راسخة الجذور، خاصة عندما يلبس ثوب الحكاية؛ ليثبت أخبار الماضي فيسافر بالنفس من احتمالات الحاضر إلى حقائق الماضي، يجدف بها تارة لتتحرك في خضم أمواج بحار

(١) ينظر: الشعراوي، "تفسير الشعراوي- الخواطر"، ٣ :١٤٤٧.

(٢) الزمخشري، "الكشاف"، ١ :٣٦٠.

الجملة الفعلية المتلاطمة"[١].

وقد آثر استعمال حرف الجر: "على" في قوله:عَلَى ٱلْكِبَرِ" التي تفيد الاستعلاء ولم يقل "مع الكِبَر" ليبين أن الكِبَر مقرون بالضعف والوهن، فجاء بـ "على"؛ لتبين استعلاء قدرة الله على ضعف الكِبَر، ويعلل الشيخ الشعراوي ذلك، فيقول: بأن (على) تفيد الاستعلاء، وأن الكِبَر ضَعْف، ولكن إرادة الله أقوى من الضعف؛ فيجعل قدرة الله في العطاء فوق الشيخوخة[٢].

وقد آثر ذكر قوله: {عَلَى ٱلْكِبَرِ }؛ لأن المنة بهبة الولد في هذا السن أعظم، من حيث إن هذا الزمان زمان وقوع اليأس من الولادة، والظفر بالحاجة في وقت اليأس من أعظم النعم[٣].

أما قوله تعالى:{إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} فتعليل "لإجابة دعائه السابق على سبيل التذييل، وأن يكون قوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ} تذكيراً لشكر نعمه السابقة، ووسيلة لاستجابة هذا الدعاء، فإن هذه الآية كالاعتراض بين أدعية إبراهيم عليه السلام في هذا المكان، كأنه عليه السلام يقول: اللهم استجب دعائي في حق ذريتي في هذا المقام، فإنك لم تزل سميع الدعاء، وقد دعوتك على الكِبَر، وسألت أن تهب لي إسماعيل وإسحاق، فأجبت لي، فذكره وسيلة لاستجابة الدعاء، فهو تذييل جارى مجري المثل للتأكيد. وفي تقييده تلك النعمة

(١) أحمد محمد عبد الله بن سليمان، "المزواجة بين الخبر والإنشاء في النظم القرآني"، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في البلاغة العربية، (جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي (١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م)،١٥.

(٢) ينظر: الشعراوي، "تفسير الشعراوي-الخواطر"، ١٢ :٧٥٨٤.

(٣) الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ١٦ :١٥٠.

بالحمد دون إطلاقها: إشارة إلى التزام الشكر لهذه النعمة المستجدة"[١].

أما قوله: "السميع" فهو مستعمل في إجابة المطلوب كناية عن الاستجابة"[٢] ، فأطلق اللازم، وهو وصفه بأنه سميعًا، وأراد الملزوم وهو استجابته للدعاء.

وبهذا جاء لفظ الكِبَر كناية عن الضعف والوهن الذي يستبعد فيه المقدرة على الإنجاب.

رابعًا: الكِبَر في آية سورة الحجر:

قال تعالى:﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [٣].

تتحدث الآية الكريمة عن ضيف سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما تشكلت الملائكة بصورة أُناس غرباء مارين ببيته، فبعدما قدم إليهم الطعام بشروه بغلام له من امرأته.

بدأت الآية بأسلوب الحوار بين الملائكة وسيدنا إبراهيم، عندما دخلوا عليه فبشروه بغلام له، فقال عليه السلام:﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي ﴾ ، ويخرج الاستفهام هنا عن معناه الأصلي إلى معنى التعجب؛ بسبب تلك البشارة، بعدما يأس من الكِبَر، وأصبح إنجاب الولد في طي المستحيل، كما نجد أيضا حذف مفعول "أبشرتموني"؛ لضيق المقام، بسبب حالة التعجب التي اعترت سيدنا إبراهيم، والمعنى: أتبشرونني بالولد الذي سوف يصبح لي بعدما أصابني الكِبَر، يقول ابن عاشور: "الاستفهام في أبشرتموني للتعجب، ... حذف المفعول لظهوره من المقام، أي تبشرونني، وحذف

(١) ينظر: عبد الله الطيبي، "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)"، ٨ :٦٢٢.

(٢) ينظر: الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٣: ٢٤٣.

(٣) إبراهيم: الآية ٥٤.

مفعول «بشرتموني» لدلالة الكلام عليه"(١).

كما أشار أبو الفداء إلى معنى الاستفهام بقوله: "الاستفهام للتعجب، والاستبعاد عادة، و(على) بمعنى (مع) أي: مع مس الكِبَر بأن يولد لي، أي أن الولادة أمر مستنكر عادة مع الكِبَر، وأمر عجيب من بين هَرِمَين، وهو حال أي: أبشرتموني كبيرًا، أو بمعنى (بعد) أي: بعد ما أصابني الكِبَر والهرم، فَبِمَ تبشرون: هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأي أعجوبة تبشرون"(٢).

أما قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾ فيدلل على بلوغه الكِبَر ومسه إياه حتى أصبح مشاهدًا أمام الجميع، وعلى هذا المعنى تكون: "على" بمعنى: "مع" لتفيد مصاحبة الكِبَر لتلك البشارة، وكأنهما مقترنان في وقت واحد، وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى ذلك بقوله أن: "على بمعنى (مع): دالة على شدة اقتران البشارة بمس الكِبَر إياه، والمس: الإصابة. والمعنى تعجب من بشارته بولد مع أن الكِبَر مسه"(٣).

كما أشار الشيخ الشعراوي إلى دلالة الكِبَر بقوله: "أن «على» هنا جاءت بمعنى «مع» أي: أنه يعيش مع الكِبَر؛ ويرى أنه من الصعب أنْ يجتمعَ الكِبَر مع القدرة على الإنجاب"(٤).

فالكبر هنا كناية عن عدم المقدرة على الإنجاب، فأطلق اللازم وهو الكبر، وأراد الملزوم عدم القدرة على الإنجاب.

وأرى أن في قوله تعالى: ﴿مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾ استعارة: حيث شبه الكِبَر بشيء

(١) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٤ :٥٩.
(٢) البرسوي، "روح البيان"، ٤ :٤٧٤.
(٣) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٤ :٥٩.
(٤) الشعراوي، "تفسير الشعراوي- الخواطر"، ١٣ :٧٧٣٤.

حسي يمس ويلامس، فحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه: "مسني" على سبيل الاستعارة المكنية، فالاستعارة هنا جاءت لتشبيه معقول بمحسوس؛ لترشح الكناية في لفظة الكبر، ولتقرر حالة الكِبَر التي أصبحت ملموسة في سيدنا إبراهيم، والسر في ذلك أن النفس دائمًا تهش إلى ما تعرفه، فأول ما تميل إليه هو المحسوس المشاهد أمامها.

أما الاستفهام الآخر في قوله: ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ فجاء للتعجب أو الإنكار، وكأن سيدنا إبراهيم عليه السلام حصل له التعجب من إنجاب الولد بعدما أصابه الكِبَر وهرم وضعف، فقد جرت العادة أن من وصل وبلغ تلك الحالة فلن يولد له ولد، وقد أشار إلى ذلك أبو الطيب القنوجي فقال: "فبم تبشرون: استفهام إنكار أو تعجب، كأنه عجب من حصول الولد له مع ما قد صار إليه من الهرم الذي جرت العادة بأنه لا يولد لمن بلغ إليه"(١).

كما تحدث ابن عاشور عن دلالة الهمزة في قوله: ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ أن الله عز وجل: "أكد هذا التعجب بالاستفهام الثاني بقوله: فبم تبشرون: استفهام تعجب، نزل الأمر العجيب المعلوم منزلة الأمر غير المعلوم؛ لأنه يكاد يكون غير معلوم"(٢).

خامسًا: الكبر في آية سورة الإسراء:

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾(٣).

(١) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي القِنَّوجي، "فتحُ البيان في مقاصد القرآن". عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، (صَيدَا – بَيروت: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م)، ٧ :١٧٩.

(٢) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٤ :٥٩.

(٣) الإسراء: الآية ٢٣.

تتحدث الآية عن منهج الله في كيفية تربية الأولاد والبنات، وكيفية معاملتهم لآبائهم وأمهاتهم، فكان الخطاب موجهًا لرسول الله ﷺ حتى يعلم أمته منهج الله عز وجل.

جاءت الآية الكريمة على الأسلوب الخبري قال تعالى: "﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ ؛ ليقرر منهج الله في كيفية تعامل أمة رسول الله ﷺ، فالخطاب هنا موجه للرسول الكريم، والخبر هنا ليزيد الأمر تنبيهًا ويؤكد خطورته، يقول ابن عاشور في سبب افتتاح الآية بالقضاء: "افتتحت بفعل القضاء المقتضي الإلزام، وهو مناسب لخطاب أمة تمتثل أمر ربها...، افتتحت هذه الأحكام والوصايا بفعل القضاء اهتمامًا به وأنه مما أمر الله به أمرًا جازمًا وحكمًا لازمًا "(١)، فبدأ به حتى تُقرع الأسماع بما يجيء بعده من أوامر ونواه.

كما نرى بلاغة التعبير: "﴿ رَبُّكَ ﴾ دون لفظ الجلالة: "الله" ليدلل على أن الله هو ولي النعمة على عباده، فهو الذي خلقهم وتولى رعايتهم، فبهذا الإنعام عليهم كان قوله: "ربك": أدعى إلى السمع والطاعة وسرعة الاستجابة، وقد أشار الشيخ الشعراوي إلى ذلك المعنى بقوله: "قد آثر الحق سبحانه الخطاب بـ ﴿ رَبُّكَ ﴾ على لفظ (الله)؛ لأن الربَّ هو الذي خلقك وربَّاك، ووالى عليك بنعمه، فهذا اللفظ أَدْعَى للسمع والطاعة، حيث يجب أن يخجل الإنسان من عصيان المنعِم عليه وصاحب الفضل"(٢).

أما سر العدول في قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ من الإفراد إلى الجمع فتعريض بالمشركين؛ لأن النهى عن عبادة غير الله يتعلق بكافة الأمم، يقول ابن عاشور: "جيء بخطاب الجماعة في قوله: "ألا تعبدوا إلا إياه"؛ لأن النهي يتعلق

(١) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٥ :٦٥ – ٦٦.
(٢) الشعراوي، "تفسير الشعراوي– الخواطر"، ١٤ :٨٤٥٠.

بجميع الناس، وهو تعريض بالمشركين"[1].

وفي الآية قصر صفة العبادة على الله وحده، وهو قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا تحقيق:يًا، ليؤكد أن أصول التشريع وأحكام العبادة تأتي من عبادة الله وحده دون غيره.

ثم لما قُرعتْ الأسماع بالنهي عن عبادة غيره عز وجل، أتبعه بالأخبار بين صريحي الأمر والنهى بعظم مقام المربين من الخلق، فقال: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ والعطف هنا له دلالته، فالله عز وجل وَصَل عبادته باحترام الوالدين والعمل على إرضائهم والإحسان إليهم، حتى وإن كانا في جانب الضلال، وقد أشار الإمام الرازي إلى ذلك المعنى فقال: "اعلم أنه تعالى أمر بعبادة نفسه، ثم أتبعه بالأمر ببر الوالدين وبيان المناسبة بين الأمر بعبادة الله تعالى وبين الأمر ببر الوالدين من وجوه: الوجه الأول: أن السبب الحقيقي لوجود الإنسان هو تخليق الله تعالى وإيجاده، والسبب الظاهري هو الأبوان، فأمر بتعظيم السبب الحقيقي، ثم أتبعه بالأمر بتعظيم السبب الظاهري، الوجه الثاني: أن الموجود إما قديم وإما محدث، ويجب أن تكون معاملة الإنسان مع الإله القديم بالتعظيم والعبودية، ومع المحدث بإظهار الشفقة"[2]، ليُبين الحق عز وجل أن أولى الناس بالشفقة خاصة عندما يهزم الكِبَر قوتهما، فيجب عليك أن تحملهما كما كانا في السابق يحتملان منك أي تعب ومشقة، فأعظم نعمة بعد إنعام الله الخالق نعمة الوالدين على أولادهما.

ونجد هنا في الآية سر بلاغي آخر من خلال التقديم والتأخير، فالحق عز وجل قدم ذكر الوالدين فقال: "﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ولم يؤخرهما :(إحسانا بالوالدين)؛

(١) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٥ :٦٧.

(٢) الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ٢٠ :٣٢١.

ليبين شدة الاهتمام بهما وتخصيصهما بالرعاية والاحترام، والإحسان لهما الإحسان العظيم الكامل، وقد بين الإمام الرازي السر في التقديم، وتنكير إحسانًا، فقال:" تقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام...قال: إحسانًا بلفظ التنكير، والتنكير يدل على التعظيم، والمعنى: وقضى ربك أن تحسنوا إلى الوالدين إحسانًا عظيمًا كاملًا"(١) .

لما كان من طبع البشر النفور والجفاء خاصة عندما يأخذ الكِبَر بالوالدين، ويزيد احتياجهم لمن يقيم على شئونهم، بيَّن الحق ما يجب فعله تجاههم، بقوله:﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ وكلمة (إما): "لفظة مركبة من لفظتين: إِنْ، وَمَا"(٢)، فقال: "إما"؛ لزيادة التأكيد والتقرير والتنبيه لشأن الوالدين من الإرضاء والاحترام لهما، فبلوغ الكِبَر هنا المقصود منه حالة الضعف والعجز التي يصل إليها الوالدان في أخر عمرهما.

والتعبير بلفظة: "يبلغ" وجعله فاعله مظهرًا ليس ضميرًا؛ للاهتمام بتخصيص كل حالة من أحوال القيام بشؤون رعاية الأبوين وعدم التفريط في حق أحدهما، ولم يستغن بإحدى الحالتين عن الأُخرى، كما أن في ذكر: "أحدهما" للتنبيه على الإحسان له، وقد قال ابن عاشور: "وجه تعدد فاعل "يبلغن" مظهرًا، دون جعله بضمير التثنية، بأن يقال: "إما يبلغان عندك الكِبَر"، الاهتمام بتخصيص كل حالة من أحوال الوالدين بالذكر، ولم يستغن بإحدى الحالتين عن الأخرى؛ لأن لكل حالة بواعث على التفريط في واجب الإحسان إليهما... فالاحتياج إلى ﴿ أو كلاهما ﴾ في هذه الصورة للتحذير من اعتذار الابن لنفسه عن التقصير بأن حالة اجتماع الأبوين

(١) الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ٣٢٣/٢٠.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها

أحرج عليه، فلأجل ذلك ذكرت الحالتان، وأجري الحكم عليهما على السواء"(١).

وأما تقديم الظرف (عندك) على المفعول :(الكِبَر)؛ فتشويقًا لسامعه وروده في الآذان؛ لأن مدار العناية والاهتمام يكمن في حالة الكِبَر التي يعجز عندها الأبوين عن القيام بشؤونهم، فكان أدعى إلى التأخير، وقد أشار أبو السعود إليه بقوله:" معنى عندك: في كنفك وكفالتك، وتقديمُه على المفعول مع أن حقه التأخرُ عنه؛ للتشويق إلى وروده، فإنه مدار تضاعف الرعاية والإحسان"(٢).

وقد أشار إليها الإمام الرازي إلى دلالة الكِبَر على الضعف والعجز بقوله: "يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما مَعْنَاهُ: أَنَّهُمَا يَبْلُغَانِ إِلَى حَالَةِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ فَيَصِيرَانِ عِنْدَكَ فِي آخِرِ الْعُمُرِ كَمَا كُنْتَ عِنْدَهُمَا فِي أَوَّلِ الْعُمُرِ"(٣).

وقال الإمام الماوردي في ذلك المعنى: "﴿إما يبلغن عندك الكِبَر أحدهما أو كلاهما﴾ فيه وجهان: أحدهما: يبلغن كبرك وكمال عقلك.، الثاني: يبلغان كبرهما بالضعف والهرم"(٤).

فالكِبَر قد يكون عائدًا إلى الولد العاقل؛ لأن الصبي والمجنون غير مكلَّفين، ولو كان أبواهما كبيرين، وقد الكِبَر يكون عائدًا إلى الأبوين نفسهما، فالأولاد مطالبون بالرفق حتى وإن كانوا صغارًا، ولا يعقلون.

وفي تأويل "أفٍ" في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ ثلاثة أوجه: أحدها: أنه كل ما غلظ من الكلام وقبح، الثاني: أنه استقذار الشيء وتغير الرائحة، الثالث: أنها

(١) الطاهر بن عاشور،" التحرير والتنوير"، ١٥ :٦٩.

(٢) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، "تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٥ :١٦٦.

(٣) الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ٢٠ :٣٢٤.

(٤) الماوردي، "تفسير الماوردي = النكت والعيون"، ٣: ٢٨٣.

كلمة تدل على التبرم والضجر، خرجت مخرج الأصوات المحكية"[١].

وقد راعى القرآن الكريم في تلك الآية قواعد الاحترام والأدب في التعامل مع الوالدين، ونرى دلالة ذلك في مبدأ التقديم لكل موضع في الآية، فالحق عز وجل قدم أولًا: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ وهو نهى صريح يقرع أُذن السامعين، وكرره للتأكيد والمبالغة في عدم الضجر منهم أو انتهارهم بالقول والفعل، كما أنها وقعت جوابًا للشرط بـ"إما"، فالمنع من التأفيف يدل على المنع من إظهار الضجر بالقليل أو الكثير، فلو قيل زعمًا: المنع من التأفيف يدل على المنع من الانتهار، فيكون ذكر الانتهار عبثًا؛ لأنه قدم ما يدل عليه، فلما راعى هذا الترتيب من تقديم التأفيف وأردفه بالانتهار؟ والجواب أن معنى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ كناية عن عدم الضجر والتبرم من أفعالهما صغيرة كانت أو كبيرة، أما قوله: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ فللمنع من إظهار المخالفة في أقولها بالتكذيب والرد عليهم بما لا يليق بهم، وهذا ما ذكره الإمام الرازي بقوله: "فإن قيل: المنع من التأفيف يدل على المنع من الانتهار بطريق الأولى، فلما قدم المنع من التأفيف كان ذكر المنع من الانتهار بعده عبثًا، أما لو فرضنا أنه قدم المنع من الانتهار ثم أتبعه بالمنع من التأفيف كان مفيدًا حسنًا؛ لأنه يلزم من المنع من الانتهار المنع من التأفيف، فما السبب في رعاية هذا الترتيب؟ قلنا: المراد من قوله: ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ المنع من إظهار الضجر بالقليل أو الكثير، والمراد من قوله: ﴿ ولا تنهرهما ﴾ المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليه والتكذيب له"[٢]، وتلك دقائق أسرار القرآن الكريم في إرساء قواعد التشريع وأصول العبادات.

وينزل قوله تعالى: "﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾؛ ليقطع العذر بالأمر المباشر في

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٢) الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ٢٠: ٣٢٦.

إرخاء جانب اللين بالقول الكريم والحسن حتى عند النصح للوالدين أو تقديم الحذر مما قد يضرهم، فحمل أسلوب الأمر تلك الدلالات من التحذير والتخويف للابن عندما يرعى أبويه أو أحدهما في جانب الكِبَر والضعف، فالقول الكريم يقتضيه حسن الأدب وطيب المعاملة الصادرة عن كرم ولطف بهما حال الكِبَر والعجز، فقال الطاهر: "أمر بإكرام القول لهما، والكريم من كل شيء: الرفيع في نوعه، وبهذا الأمر انقطع العذر بحيث إذا رأى الولد أن ينصح لأحد أبويه أو أن يحذر مما قد يضر به أدى إليه ذلك بقول لين حسن الوقع"(١).

ومما سبق يتبين أن لفظة الكبر جاءت دالة على الضعف والعجز في هذه الآية.

سادسًا: الكِبَر في آية سورة مريم:

قال الله عز وجل: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾(٢).

تتحدث هذه الآية عن بشارة الملائكة لسيدنا زكريا عليه السلام بسيدنا يحيي، فاستفهم متعجبًا عن حالته وامرأته التي لا تلد، وقد سبق الحديث عن هذه البشارة في آية آل عمران: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ (٣)، وهذه الآية تختلف عن سابقتها في أمور:

الأول: تقديم عقر امرأته في هذه الآية وتأخير كِبَر سنه، أما في آية آل عمران فقد قدم كِبَر سنه عن عقر امرأته، يقول أبو المنصور الماتريدي في ذلك: "القصة واحدة؛ ذكر على التقديم والتأخير، وعلى اختلاف الألفاظ واللسان؛ دل أنه ليس

(١) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٥ :٧٠.

(٢) مريم: الآية ٨.

(٣) آل عمران: الآية ٤٠.

على الخلق حفظ اللفظ واللسان؛ وإنما عليهم حفظ المعاني المدرجة المودعة فيها"[١]، ولهذا آثر الذكر الحكيم العطف بـ"الواو" بينهما، والواو لا تقتضى الترتيب، ولكن تقتضى الجمع فقط[٢] .

الثاني: وصف كبره في هذه الآية بالعتو بخلاف آية آل عمران، والمقصود بالعتو: اليبس الذي يحدث في العظام، وهذا أبلغ في الدلالة على تقدم سنه؛ لأن كل متناه إلى غايته في كِبَر فهو عاتٍ)[٣]. (

وقد جعل ابن عباس العتو كناية عن عدم المقدرة على إتيان زوجته، فأطلق لفظ اللازم وهو العتيان الراجع إلى يبوسة العظام وأراد الملزوم وهو عدم المقدرة على المجامعة، يقول النيسابوري:" قال ابن عباس في معنى قوله: ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا ﴾: لا أقدر على مجامعة النساء، وهذا راجع إلى ما ذكرنا من معنى اليبوسة"[٤].

الثالث: أسند البلوغ في آية آل عمران إلى الوصف نفسه "الكِبَر" فقال:﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾، أما في هذه الآية فقد أسند البلوغ إلى نفسه؛ حيث قال: وقد بلغت من الكِبَر وجوابه: أن ما بلغك فقد بلغته[٥]؛ فما وصلت له فقد وصل إليك، فيستوي الفاعل والمفعول في دلالة الفعل، ويجيب عن السر في ذلك الطاهر ابن عاشور فيقول: "البلوغ: مجاز في حلول الإبان، وجعل نفسه –هنا– بالغًا الكبر، وفي

(١) الماتريدي، "تأويلات أهل السنة"، ٢ :٣٦٥.

(٢) ينظر: الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ١٢ :٥١٩.

(٣) ينظر: الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ١٥ :٤٦٤.

(٤) ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري، "التفسير البسيط". تحقيق: لجنة علمية من جامعة الإمام محمد بن سعود، (ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: عمادة البحث العلمي، ١٤٣٠هـ)، ٢ :٤٠٦.

(٥) الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ٢١ :٥١٩.

آية (آل عمران) قال: وقد بلغني الكبر؛ لأن البلوغ لما كان مجازًا في حصول الوصف؛ صح أن يسند إلى الوصف وإلى الموصوف"[1].

فقد سوى العلماء بين الأسلوبين سواء من ناحية الدلالة كما بين الرازي، أو من ناحية صحة الإسناد كما بين الطاهر بن عاشور.

وبناء على ما سبق نجد أن لفظ الكبر غلب عليه في القرآن أن يكون كناية عن عدم المقدرة على مجامعة النساء، وبالتالي عدم القدرة على الإنجاب.

(١) الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٦ :٧١.

الخاتمة

١- قدم البحث صورة وافية للألفاظ الدالة على تقدم العمر في القرآن الكريم.

٢- تنوعت الألفاظ الدالة على تقدم العمر في القرآن بين لفظة "الشيب" التي وردت ثلاث مرات، ولفظة "شيخ" التي وردت في القرآن الكريم أربع مرات، ثلاثة منها جاءت بصيغة الإفراد، وواحدة بصيغة الجمع، ولفظة "الكِبَر" التي وردت ست مرات.

٣- من بديع الذكر الحكيم إسناد الوهن الخفي إلى العظام للدلالة على الضعف العام، وإسناد الوهن الظاهر للشيب.

٤- أظهر الاستعارة في قوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ وجهًا للإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ لأن عملية الاشتعال التي تحدث في الشعر وتنتج الشيب لها أسباب علمية، وهي أن المادة المسؤولة عن الشيب قابلة للاشتعال، ويزيد تركيز هذه المادة مع تقدم السن، مما يؤدى إلى تفاعلات كيميائية تمنع الميلانين المشكِّل لسواد الشعر.

٥- جاءت لفظة "شيبة" فارقة بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، فكلاهما ضعف، إلا أن ضعف الشيخوخة يصاحبه الشيب غالبًا، وأن هذا الضعف لا قوة بعده، فهو المرحلة الأخيرة في حياة الإنسان.

٦- من بديع الذكر الحكيم بيان دور الأثر النفسي في إشابة الولدان، وقد استعان القرآن بالأسلوب المجازي لبيان ذلك الأثر، وقد بينت الدراسة ذلك.

٧- كنى الذكر الحكيم على الضعف والوهن بلفظة الشيخ مفردة وجمعًا، وقد بينت الدراسة ذلك.

٨- قد تأتي لفظة الشيخ كناية عن عدم إتيان المرأة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخٗا﴾، وقد بينت الدراسة ذلك.

٩- أتت لفظة الكبر كناية عن الضعف والعجز، وعن عدم المقدرة على إتيان النساء أو الإنجاب، وقد تُقوّي الكناية باستعارة، كما في آية إبراهيم: ﴿مَسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾، وقد بينت الدراسة ذلك.

المصادر والمراجع

ابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. "تفسير القرآن العزيز". تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، (ط١، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م).

ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد. " زاد المسير في علم التفسير". تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ هـ).

ابن عاشور، محمد الطاهر. "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على. " لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى. "تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

أبو موسى، محمد محمد. "خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني". (ط٧، القاهرة: مكتبة وهبة).

البرسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي. "روح البيان". (بيروت: دار الفكر).

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. "معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي". تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي،

١٤٢٠هـ).

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي).

جبل، محمد حسن. "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم". (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م).

الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد. "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير". (القاهرة: مطبعة بولاق الأميرية، ١٢٨٥هـ).

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين. "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. "المفردات في غريب القرآن". تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (ط١، دمشق، بيروت: دار القلم – الدار الشامية، ١٤١٢هـ).

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

سليمان، أحمد محمد عبد الله. "**المزواجة بين الخبر والإنشاء في النظم القرآني**". بحث *مقدم لنيل درجة الماجستير في البلاغة العربية*. (جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م).

الشعراوي، محمد متولي. "تفسير الشعراوي — الخواطر"، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم).

الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر. "حاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ

البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي". (بيروت: دار صادر).

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله. "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)". تحقيق: إياد محمد الغوج، د. جميل بني عطا، (ط١، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

عبد الباقي، محمد فؤاد. "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم". (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ) .

عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز. "تفسير القرآن وهو اختصار لتفسير الماوردي". تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، (ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

العبيدي، أحمد غازي. "الأعمار المتفاوتة في القرآن الكريم". *مجلة الدراسات المستدامة، الجمعية العلمية للدراسات التربوية المستدامة ٤.* (٢٠٢٢م) ٤٥٧: ٤٧٩.

على، عبد السميع عماد. "التيسير في أصول واتجاهات التفسير". (الإسكندرية: دار الإيمان، ٢٠٠٦م).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. "كتاب العين". تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي".

تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي. "فتحُ البيان في مقاصد القرآن". عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، (صَيدَا - بَيروت: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

القيسي، مكي بن أبي طالب. "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه". تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، (ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م).

الكحيل، عبد الدايم. "هل تحدث القرآن عن أسرار الشيب". مجلة الإعجاز العلمي، رابطة العالم الإسلامي، ٤٣، (٢٠١٣م) ٦: ٩.

لاشين، عبد الفتاح. "من أسرار التعبير في القرآن الكريم بناء التراكيب". (ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٣٥هـ،٢٠١٤م.(

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود. "تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة". تحقيق: الدكتور مجدي باسلوم، (ط١، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. "تفسير الماوردي = النكت والعيون". تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (بيروت: دار الكتب العلمية).

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد. "مدارك التنزيل وحقائق التأويل". تحقيق:

يوسف علي بديوي، وقدم له: محيي الدين ديب مستو، (ط١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد. "التفسير البسيط". تحقيق: لجنة علمية من جامعة الإمام محمد بن سعود، (ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: عمادة البحث العلمي، ١٤٣٠هـ).

Bibliography

Ibn Abi Zamanin, Abu Abdillah Muhammad ibn Abdullah. "tafsīr al-Qur'ān al-'Azīz". Investigation by Abu Abdullah Husain bin Akasha - Muhammad bin Mustafa Al-Kanz, (1st edition, Cairo: Al-Farouq Al-Haditha, 1423 AH - 2002).

Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad. "Zād al-Masīr fī 'ilm al-Tafsīr". Investigated by Abd al-Razzaq Al-Mahdi, (1st ed., Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1422 AH).

Ibn ʿAshour, Muhammad al-Tahir. "Taḥrīr al-Maʿná al-Sadīd wa-tanwīr al-'aql al-Jadīd min Tafsīr al-Kitāb al-Majīd". (Tunisia: Tunisian Publishing House, 1984 AD).

Ibn Faris, Abu al-Husain Ahmad. "Al-Mu'jam Al-Maqāyis al-Lugha" Investigated by Abd al-Salam Muhammad Haroun, (Cairo: Dar al-Fikr, 1399 AH - 1979).

Ibn Manzour, Muhammad ibn Makram ibn Ali. "Lisān al-'Arab" (3rd ed., Beirut: Dar Sader 1414 AH).

Abu al-Saud al-Imadi, Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa. "Tafsir Abi al-Sa'ud". (Beirut: Dar Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī)

Abu Musa, Muhammad Muhammad. "Khaṣā'iṣ al-Tarākīb Dirāsah Taḥlīlīyah li-Masā'il 'ilm al-Maʿānī". (7th edition, Cairo: Wahba Bookstore).

Al-Barsawi, Ismail Haqi bin Mustafa al-Khalwati. "Rūḥ al-Bayān". (Beirut: Dar Al-Fikr).

Al-Baghawi, Abu Muhammad al-Husain ibn Mas'ud. "Tafsir al-Baghawi". Investigated by Abdul Razzaq Al-Mahdi, (1st ed., Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1420 AH).

Al-Biqāʿi, Ibrahim ibn Umar ibn Hasan. "Naẓm al-Durar fī Tanāsub al-Āyāt wa-al-Suwarr". (Cairo: Dar Al-Kitab Al-Islami).

Jabal, Muhammad Hassan. "al-Muʿjam al-ishtiqāqī al-muʾaṣṣal li-alfāẓ al-Qur'ān al-Karīm". (1st ed., Cairo: Al-Adab Bookstore, 2010).

Al-Khatib al-Shirbini, Muhammad ibn Ahmad. "al-Sarrāj al-munīr fī al-iʿānah 'alá maʿrifat baʿḍ maʿānī kalām Rabbinā al-Ḥakīm al-khabīr". (Cairo: Bulaq Amiriya Press, 1285 AH).

Al-Rāzi, Abu Abdillah Muhammad ibn Umar ibn al-Husain. "Mafātīḥ al-Ghaib = al-Tafsīr al-Kabīr". (3rd edition, Beirut: Dar Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, 1420 AH).

Al-Rāghib al-Asfahāni, Abu al-Qasim al-Husain ibn Muhammad. "al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān". Investigated by Safwan ʿAdnan Al-Daoudi, (1st ed., Damascus, Beirut: Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-

Shamiya, 1412 AH).
Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmoud ibn ʿAmr. "al-Kashshāf ʻan Ḥaqā'iq Ghawāmiḍ al-Tanzīl". (3rd ed., Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH).
Sulaiman, Ahmad Muhammad Abdullah. "al-Muzāwajah baina al-Khabarr wa-al-Inshā' fī al-Naẓm al-Qur'ānī". A thesis submitted for the degree of Master in Arabic Rhetoric (University of Omdurman Islamic University, Institute for Research and Studies of the Islamic World, 1427 AH - 2006).
Al-Shaʿrāwi, Muhammad Mutwally. "Tafsīr al-Shaʻrāwī = al-Khawāṭir". (Cairo: Akhbar Al-Youm Press).
Al-Shihab Al-Khafaji, Ahmad ibn Muhammad ibn Umar. "ḥāshītu alshshihābi ʻalá tfsyri albayḍāwī, al-Musammāh: ʻInāyatu al-Qāḍī wa-Kifāyatu al-Rāḍī ʻalá Tafsiri al-Baiḍāwī". (Beirut: Dar Al-Sadir).
Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir ibn Yazid. "Jāmi' al-Bayān fi Tafsir al-Quran". Investigated by Ahmad Muhammad Shakir, (1st ed., Al-Risalah Foundation, 1420 AH - 2000).
Al-Tayibi, Sharaf al-Din al-Husain ibn Abdillah. "Futouh al-Ghaib fi al-Kashf 'an Qina' al-Raib (Hashiya al-Tibi 'ala al-Kashāf)" Investigation by Iyad Muhammad Al-Ghoj, Ph.D. Jamil Bani Ata, (1st ed., Dubai: Dubai International Quran Award, 1434 AH - 2013).
ʿAbd al-Baqi, Muhamad Fuād. "al-Muʻjam al-Mufahras li-Alfāẓ al-Qur'ān al-Karīm". (Cairo: Egyptian National Bookstore Press, 1364 AH).
ʿAbd al-Salam, Abu Muhammad ʿIzz al-Din ʿAbd al-ʿAziz. "Tafsīr al-Qur'ān wa-huwa Ikhtiṣār li-Tafsīr al-Māwardī". Investigated by Abdullah bin Ibrahim Al-Wahbi, (1st ed., Beirut: Dar Ibn Hazm, 1416 AH - 1996).
Al-ʿUbaidi, Ahmad Ghazi. "al-aʻmār almtfāwth fī al-Qur'ān al-Karīm". *Sustainable Studies Journal*, Scientific Association for Sustainable Educational Studies 4.2022) 457: 479.
ʿAli, ʿAbd al-Samir ʿImad. "al-Taysīr fī Uṣūl wa-Ittijāhāt al-Tafsīr". Alexandria: Dar Al-Iman, 2006).
Al-Farāhidi, Al-Khalil ibn Ahmad. "Kitāb al-ʿAin". Investigated by Mahdi Al-Makhzumi, Ibrahim Al-Samarrai, (Dar and Library of Al-Hilal).
Al-Qurtubi, Abu ʿAbdillah Muhammad ibn Ahmad. "al-Jāmiʻ li-aḥkām al-Qur'ān = tafsīr al-Qurṭubī". Investigated by Ahmad Al-Bardouni and Ibrahim Atfeesh, (2nd ed., Cairo: Dar Al-Kutub Al-

Misriyya, 1384 AH - 1964).
Al-Qinnouji, Abu al-Tayyib Muhammad Siddiq Khan bin Hasan bin Ali. "Fatḥu al-Bayān fī Maqāṣid al-Qur'ān". Published, introduced, and reviewed by Abdullah bin Ibrahim Al-Ansari, (Sidon - Beirut: Al-Asriya Library for Printing and Publishing, 1412 AH - 1992).
Al-Qaisi, Maki ibn Abi Talib. "al-Hidāyah ilá Bulūgh al-Nihāyah fī 'Ilm Ma'ānī al-Qur'ān wa-Tafsīrih, wa-Aḥkāmuhi, wa-Jumal min Funūni 'Ulūmuh". a collection of graduate theses at the College of Graduate Studies and Research - University of Sharjah, under the supervision of Prof. Al-Shahid Al-Boushaikhi, Collection of Research on the Quran and Sunnah - College of Sharia and Islamic Studies - University of Sharjah (1st edition, 1429 AH - 2008).
Al-Kahil, ʿAbd al-Da'im. "Did the Quran talk about the secrets of gray hair?" (in Arabic). *Journal of Scientific Miracles*, Muslim World League, 43, (2013) 6: 9.
Lashin, Abdel Fattah. "min Asrār al-Ta'bīr fī al-Qur'ān al-Karīm binā' al-Tarākīb". (1st ed., Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1435 AH, 2014).
Al-Māturīdi, Muhammad ibn Muhammad ibn Mahmoud. "tafsīr al-Māturīdī Ta'wīlāt ahl al-Sunnah". Investigated by Dr. Majdi Basaloum, (1st ed., Lebanon, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 1426 AH - 2005).
Al-Māwardi, Abu al-Hasan ʿAli ibn Muhammad. " Tafsir Al-Māwardi = Al-Nukat wa Al-ʿUyoun". Investigation of al-Sayyid ʿAbd al-Maqsoud ʿAbd al-Rahim. (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah).
Al-Nasafi, Abu al-Barakat ʿAbdullah ibn Ahmad. "Madārik al-Tanzīl wa-Ḥaqā'iq al-Ta'wīl". Investigated by Youssef Ali Bedewi, with a foreword by Muhyi al-Din Dib Mesto, (1st ed., Beirut: Dar Al-Kalam Al-Tayyib, 1419 AH - 1998).
Al-Wāhidi al-Naysaburi, Abu al-Hasan Ali ibn Ahmad ibn Muhammad. "al-Tafsīr al-Basīṭ". Investigated by a scientific committee from Imam Muhammad bin Saud University, (1st edition, Imam Muhammad bin Saud Islamic University: Deanship of Scientific Research, 1430 AH).

١٣٨
١٩٦

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature

Issue : 17

July - Sept 2025

part 2